414

HARLEQUIN

روايات أحلام

أحلام على الورق

ميلاني ميلبورن

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

أحلام على الورق

كان أمام أميلي شيروود فرصة واحدة للنجاح في حياتها . ولن تدع هذه الفرصة تفلت من يدها . . .
لكن داميين مارغيت . البالغ السلطة والنفوذ . يهددها . فهو لن يدعها تتابع تأليف كتاب يفضح أسرار عن أسرته . سيقوم بأي شيء ليمنعها حتى لو كان ذلك طلب الزواج منها .
هل ستتمكن أميلي من رفض عرضه . وتخاطر بمستقبلها ؛ أم تقبل وتخاطر بقلبها ؟

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-382-7

١ - الشاهد الوحيد

كانت تكره أن يتأخر.

ونظرت إلى ساعتها للمرة الخامسة عشرة، وتنهدت. لماذا لا يأتي داني على الموعد ولو مرة واحدة؟ وقرع جرس الباب فهبّت واقفة وتفحصت مظهرها بسرعة في مرآة الردهة وهي تندفع نحو الباب لتفتحه وعلى فمها ابتسامة عريضة. لكنها ذهلت وهي ترى شقيق داني الأكبر، فهتفت: «أنت؟ ما الذي جاء بك؟».

نظر داميين مارغيت إلى ثوبها المسائي، ثم عاد ينظر إلى وجهها قبل أن يجيب ببرودة: «داني لم يستطع الحضور فجئت أنا بدلاً منه».

فتحت إميلي فمها بذعر: «هل هو.. هل أصابه ضرر ما؟ هل ثمة ما..؟».

هزّ داميين رأسه وهو يدخل إلى شقتها الصغيرة، ليقول بغموض: «لم يحدث له شيء بعد...».

نظرت في عينيه بحذر: «لكنني لا أفهم. داني يعلم أهمية هذه الليلة بالنسبة إلي. لماذا لم يتصل بي هاتفياً ويخبرني بنفسه بعدم قدرته على المجيء؟».

هزَّ كتفيه بتلك الطريقة البغيضة التي تعكس عدم الاكتراث والتي أغاظتها منذ قابلته لأول مرة.

- أنا مثلك، لا أشارك أخي الأصغر خططه. إنني أدرك مدى ما في تصرف أخي من إهانة، إذ يجعلك تحتملين رفقتي بدلاً من رفقته. لكن، وبما أنني هنا الآن، يمكنك أن تقرّري ما إذا كنت تودّين أن أرافقك.

فتحت فمها ثم أطبقته، غير واثقة مما عليها أن تقوله. نظرت إلى قامته

الطويلة في بذلة المساء السوداء، وإلى ربطة عنقه السوداء التقليدية، التي تتناسب معها. لو كان داني هو القادم، لبقي مشغولاً بعقد ربطة عنقه وهو يقرع جرس الباب. فهو يختلف عن داميين.

أجابت تحاول التهكم: «لا أريد أن أضيّع وقتك الثمين. إنني واثقة من أن لديك أمور تفعلها أفضل بكثير من مرافقتي إلى حفلة تسلم جائزة أدبية».

فأجاب وعيناه السوداوان الغامضتان تشتبكان بعينيها: «على العكس، ليس لدي ما أفعله أفضل من هذا . . . هذا المساء».

شعرت إميلي بغليان في داخلها، كيف يجرؤ على المجيء إلى هنا ليسخر منها؟ إنه يعلم كم تكرهه، لاسيّما بعد أن أوضح رأيه في رغبتها في كتابة سيرة حياة روز، عمته وعمة داني، متهماً إياها بالتزلف للأسرة لكي تؤلف مجموعة من الأكاذيب عن سيدة عجوز لم تعد تستطيع الدفاع عن نفسها.

قالت له بابتسامة ساخرة: «أليس لديك موعد ما هذه الليلة؟ أم لعلها قررت قضاء الليلة مع زوجها؟».

وسرعان ما أدركت أنه ما كان لها أن تقول هذا، فقد بدا الغضب في عينيه: «هل أفهم من هذا أن داني يملأ رأسك بهذا الهراء؟».

لم تفصح لهجته مشاعره، لكن إميلي شعرت بأن تحكّمه بأعصابه أخذ يختلّ. قدرتها على إحداث ذلك تشعر بالقوة، وهو ما لم تشعر به من قبل مع داميين مارغيت. وقالت بتهوّر: «لم أكن أدرك أن هذا سرّ عائلي. . . سرّ آخر على الأقل».

تقدم منها وأمسك معصمها بلطف لكن بحزم، فاضطرت إلى إشاحة وجهها كيلا تتلاقى عيناها بعينيه. كان أطول من أخيه ما جعلها تشعر بالرهبة، وهي تعلم أن هذا ما يريده. قال بهدوء تضمّن تهديداً خفياً: «نصيحة مني لك، يا آنسة شيروود، إنّ مشروع تأليف كتاب عن بعض أقاربي، لا يمنحك حرية التدخّل في حياتي الشخصية، هل هذا مفهوم؟».

حاولت ألاّ تنظر إليه، لكن هذا كان مستحيلاً. وانتقلت نظراتها من ربطة عنقه إلى فمه المستاء الصارم، وقالت وهي مطبقة الأسنان: «حياتك

الخاصة لا تهمني مثقال ذرة. هذا إذا كانت لديك حياة خاصة فعلاً. والآن، دعني أخرج من فضلك».

اشتدت قبضته بعض الشيء على معصمها لكي يشعرها بعدم رغبته في الإبتعاد عنها.

- أمامك خياران. إما أن تدخلي الحفلة بمفردك فيتساءل الناس عن سبب عدم وجود مرافق لك، وإما أن تدخلي معي. . . فماذا تختارين؟

- ستبدأ التساؤلات عندما يراني الناس معك، بينما صديقي هو داني وليس أنت.

- داني غير موجود هذا المساء. ألا تعكس مرافقتي لك جواً ايجابياً على مصداقيتك في كتابة سيرة حياة عمتي؟

تمنت لو ترد دعوته، لكنه على حق. سيلحظ الصحافيون وجود عضو من الأسرة معها ما يضفي نوعاً من المصداقية على كتابها. لكن إذا ذهبت وحدها، فسيظنون أنها فقدت صداقة الأسرة. وهي تعلم أن الناشرين سيوقفون التعامل معها إذا ما اشتمّوا رائحة مشكلة ما تتصل بالكتاب.

كانت بحاجة لأن تبيع كتابها هذا فمنذ فشل آخر كتاب لها، لم يعد أمامها خيار.

ولكن لماذا ليس داني هو من يرافقها؟ فقد أصبحا معروفين بأنهما صديقان وهذا يرفع من معنوياتها بكل تأكيد.

- حسناً؟ ما رأيك؟

شعرت بيده على ذراعها تحرقها، وبجلدها يخزها متجاوباً مع لمسته.

وأخيراً قالت بصوت متوتر اشمئزازاً: «يبدو أن خياراتي محدودة».

ترك يدها وعيناه لا تزالان تحدقان في عينيها: «لا يهمني. لكنني أظن أنّ هذه الأمسيّة هامة جداً بالنسبة إليك. أليس هذا صحيحاً؟».

كانت مرشحة لنيل جائزة صغيرة مع كاتبين آخرين.

قالت لاهثة: «سيكون كتاباً هاماً، فالناس يحبون أن يطلعوا على حياة

www.elromancia.com

المشاهير الخاصة، ونحن بحاجة إلى دعاية».

فقال: «إنهم يستحقون أن يطلعوا على الحقيقة، وليس على بعض الحكايات المختلقة، لكي يزداد مبيع الكتاب».

فنظرت إليه متحدية: «ولماذا تهتم؟ إنني لن أكتب عنك».

- أؤكد لك يا آنسة شيروود، أنك إذا كتبت كلمة واحدة عني، فستواجهين النتائج شخصياً.

فقالت ساخرة: «هل يُفترض بهذا الكلام أن يخيفني؟ إذا كان الأمر كذلك، فيؤسفني أنه غير ناجح. سأكتب كتاباً عن عمتك ولا شيء مما تقوله يمكنه أن يمنعني».

لمعت عيناه بشكل خطير: «لا تقولي إنني لم أحذرك. لعلك استطعت أن تديري أخي بإصبعك الصغير، لكنني مختلف عنه تماماً».

شيء ما فيه جعلها تشعر بالضيق. لم يتملكها مثل هذا الشعور منذ كانت في المدرسة. تباً له لأنه جعلها تشعر أنها طفلة عديمة المسؤولية. سوف تريه! فليفعل أسوأ ما يستطيعه . . . هذه الليلة سيتغيّر حظها ما سيجنّبها الإفلاس ولا يمكن لأيّ شيء يقوله أو يفعله أن يمنعها.

ورسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة: «لقد فهمت تماماً، يا سيد مارغيت. يشرفني أن ترافقني إلى هذه الحفلة بدلاً من أخيك. سأحضر وشاحي ثم نخرج».

عندما وصلا، كانت حفلة الكوكتيل في أوجها. تقدمت منهما وكيلة أعمال إميلي، كلاريس كونور، وهي امرأة ضخمة، ترفل في ثوب فضفاض من الشيفون القرمزي: «عزيزتي! يا للأناقة الرائعة».

وقبلتها على وجنتها ثم نظرت إلى داميين: «عجباً! الأخ الأكبر هو البديل؟ كم أنت ماهرة، يا إميلي».

فقال وهو يمد يده إليها مصافحاً: «لا أعتقد أننا تعارفنا من قبل».

أمسكت كلاريس بيده تجذبها نحو صدرها الرحب: «ما أجمل أن تأتي هذه الليلة».

والتفتت إلى إميلي: «أين الفتى؟».

توترت شفتا إميلي وهي ترى النظرة الساخرة في عيني داميين عند سماع كلمات كلاريس.

- إنه . . .

فقاطعها داميين قبل أن تفكر إميلي في شيء ما تقوله: «لقد اعتذر. حدث هام أعاقه».

لوّحت كلاريس بيدها من دون اهتمام: «حسناً، لقد انتهت مهمته، أليس كذلك يا حبيبتي؟».

شعرت إميلي بوجهها يتوهج بينما قالت المرأة لداميين: «ولكن لطف منك أن تسوّي الأمر. أعني بالرغم من مشاغلك».

فقال بابتسامة هادئة: «أنا واثق من أن هذه الأمسية تستحق ذلك».

فقالت: «هذا صحيح».

والتفتت إلى إميلي: «ثمة صحفي من صحيفة «ملبورن إيج» يريد أن يجري معك مقابلة. اقترحت عليه أن تتفقا على موعد لكنه أصرّ على إجرائها الليلة. ينبغي عليك أن تبذلي بعض الجهد للنجاح في تحقيق مشروعك الجديد هذا، حتى لو اقتضى الأمر أن تختلطي بأناس لم تعتادي الاختلاط بهم».

بعدئذ، ألقت على داميين نظرة ذات معنى، لكنه كان يتحدث إلى رجل وصل لتوّه.

أخذت إميلي تنظر إلى امرأة أنيقة تقترب منه وثوبها الأسود الضيق يبرز مفاتن جسمها أثناء سيرها.

- داميين! ما أجمل أن أراك.

لا بد أن شيئاً ما في ملامح داميين نبّه المرأة إلى وجود إميلي، فألقت على إميلي نظرة شاملة: «مرحباً. هل أنت امرأة ذات أهمية؟»

لم تفهم إميلي معنى تحية المرأة، فنظرت إلى داميين، لكن وجه الرجل بدا، كعادته، جامداً غير معبّر، وهو يقول: «إنها إميلي شيروود، يا نيرولي. أقدم لك نيرولي هايشتوك، يا آنسة شيروود».

www.elromancia.com

لم تعكس عينا نيرولي الابتسامة الباهتة التي ارتسمت على شفتيها: «هل أنت كاتبة أيضاً؟ لم أسمع باسمك من قبل، مع الأسف».

أصابت هذه الإهانة هدفها. كانت إميلي تعلم أنها ليست مؤهلة بما يكفي لنيل جائزة نوبل، لكن أول كتاب أصدرته استقبله القراء استقبالاً حسناً، وحقق نجاحاً لا بأس به. لكن كتابها الأخير لم يبلغ القمة بينما بلغ كتاب نيرولي الوحيد القمة اجتماعياً. لم تكن إميلي لتنتقد نجاحها حتى ولو كانت تعلم في سرّها أن القضية قضية المكان المناسب في الوقت المناسب.

قالت إميلي باختصار: «هذا يتوقف على نوع الكتب التي يقرأها الشخص».

تجاهلت نيرولي هذا الجواب وتحوّلت إلى داميين: «أظنك هنا لتعلّم الآنسة شيروود حسن السلوك. سمعت أنها كانت بالغة القسوة حيث كشفت الكثير من الفضائح».

واجهت إميلي المرأة الأخرى بعينين تلتهبان غضباً: «هكذا إذاً؟ قرأت كتبي الأخرى. ظننتك لم تسمعي باسمي من قبل؟».

شملتها نيرولي بنظرة، ثم قالت: «آسفة، يا آنسة شيروود. لا وقت لديّ لقراءة الكتب التي تؤلّف لكسب المال من تحريك وحول الماضي كحال معظم كتب سير المشاهير. إنني أفضل الواقع على الخيال».

فسألتها إميلي: «وكيف تحكمين على ما إذا كان فحوى الكتاب واقعاً أم خيالاً؟».

بدت القساوة في عيني نيرولي الرماديتين الباردتين: «أنا أؤمن دوماً باستقاء المعلومات من المصدر الأصلي».

- وماذا لو رفض المصدر الأصلي أن يتكلم؟

طرحت إميلي عليها هذا السؤال وهي تنظر إلى الرجل الطويل الواقف بينهما، فتوترت شفتا نيرولي الرقيقتان قبل أن تجيب ببرودة بالغة: «أنا واثقة من أن ثمة مصادر من الأفضل تجنبها، ومن الأفضل أن تقري بصحة هذا قبل أن يردّ عليك أحدها بالرفض».

وابتعدت لتتحدث إلى ضيف آخر.

قال داميين وهو يزفر: «يا إلهي».

شعرت بحرارة أنفاسه على جلدها فارتجفت. ابتعدت عنه وهي تحملق في ملامحه الساخرة: «لم أكن أعلم أنك على علاقة حميمة مع امرأة مثل الآنسة هايستوك. من المؤسف أن ليس لديها زوج يجعل عملية المطاردة أكثر إغراء وجاذبية».

كاد اللهب الذي بدا في عينيه يحرقها لولا وصول ضيف الشرف في تلك اللحظة. وأخذ رئيس التحرير في دار النشر يسوّي الميكروفون تمهيداً لكلمته بينما اتجهت الأعين إلى المنصّة الصغيرة.

شعرت إميلي بوجود داميين مارغيت خلفها. لم يكن يلمسها، لكنها أدركت أن أقل حركة منها ستجعلها تحتك بجسمه الصلب. شعرت وكأنها تحت تأثير تنويم مغناطيسي يدفعها إلى التراجع إلى الخلف والاحتكاك به. لكنها أرغمت جسمها على الجمود رغم توتر عضلاتها، وتحكمت في أعصابها كيلا تغدر بها فتستسلم للإغراء.

كانت من شدة التركيز على مشاعرها بحيث لم تسمع المتحدث وهو يذكر اسمها. لكنها انتبهت فجأة إلى أعين الحضور تنصب عليها، فتقدمت متعثرة من المتحدث. كانت تعلم أنها مرشحة لنيل جائزة على كتابها الجديد، لكنها تخلت عن أيّ أمل في النجاح بعد فشل كتابها الثاني. فأدهشها أن تنال الجائزة.

لم تستطع أن تتذكر ما قالته لاحقاً. كانت تعلم أنها شكرت كلاريس وكل من ساعدها، لكن عدا ذلك، لم تعد تتذكر شيئاً. خرجت الكلمات من فمها واضحة ومترابطة نوعاً ما. لكنها كانت تشعر طوال الوقت بنظرات داميين الباردة عليها، ما جعل راحتيها تتعرقان.

بعدئذ، ذلك تجمع حولها بعض الحاضرين يطلبون توقيعها فسرّها هذا التأخير إذ لم تكن متلهفة للعودة إلى منزلها، فسيكون عليها أن تدفع ثمن سخريتها وتهكمها.

لم تعرف ما حدث لها الليلة. إن حياة داميين الخاصة لا تعنيها، لكنها اعترفت لنفسها بأن حياته المنعزلة تجذبها، فهي كاتبة. أمثاله من المتحفظين يثيرون اهتمامها. الأمر لا يتعلق به شخصياً، فهو لا يتمتع بأيّ نوع خاص من الوسامة ما جعلها تنجذب إلى أخيه داني، مفضّلة عينيه الزرقاوين العابثتين وخصلات شعره الشقراء، على داميين الأسمر ذي النظرات الشاردة المتأملة.

ألقت عليه نظرة عبر الغرفة المزدحمة، فأجفلت عندما رأته ينظر إليها، وشعرت بوجنتيها تتوهجان، فالتفتت إلى أول شخص في صف الذين ينتظرون توقيعها لتخط ذلك بسرعة.

واقتربت الحفلة من نهايتها واضطرت إميلي إلى مواجهة داميين الذي انتظر جانباً إلى أن ودّعها آخر الضيوف.

كانت كلاريس قد غادرت قبلها فلم تجد بداً من أن تلتقط حقيبتها ثم تتوجه نحو داميين.

سألها وهو ينظر إلى ملامحها المتوهجة ساخراً: «هل أنت جاهزة؟».

فأجابت وهي تلف وشاحها حول كتفيها: «نعم... لكن بإمكاني أن أوقف سيارة أجرة فأنا لا أريد أن أؤخرك عن الخطة التي وضعتها لقضاء بقية السهرة».

- يبدو أنك مستعجلة للخلاص مني. ظننتك مسرورة لهذه الفرصة، وستستغلينها قدر الإمكان.

قطبت جبينها بحيرة بينما تابع هو يقول: «يمكنك أن تسجلي مقابلتك الخاصة معي. من يدري ما يمكنك أن تكتشفيه وقد يصلح لكتابك التالي؟».

حوّلت عينيها عنه وقالت: «ليس لدي رغبة في إجراء مقابلة معك أو حتى في قضاء وقت معك أكثر مما تتطلبه الضرورة أو التهذيب. والآن، أرجو المعذرة لأنني بحاجة لاستعمال الحمام. سأعود بعد خمس دقائق».

ابتعدت عنه مرفوعة الرأس واتجهت بسرعة إلى باب الاستراحة وإذا بها

تكاد تصطدم برجل كبير السن خرج لتوه من حمام الرجال أثناء دخولها خطأ. واندفعت إلى استراحة النساء وقد توهج وجهها.

وقفت أمام المرآة وراحت تتنفس بعمق. كان شعرها المرفوع فوق رأسها قد انسدل خصلات صغيرة حول وجهها، وبدت عيناها الزرقاوان واسعتين فيما ارتجفت أهدابها وكأنها مذعورة.

غسلت يديها ثم خرجت من الحمام بسرعة. وبدلاً من أن تتجه إلى الردهة، اتجهت إلى سلم الطوارىء فنزلته على أطراف أصابعها إلى حيث الحرية.

كان الليل بارداً منعشاً، والشارع مزدحماً، فشقت طريقها متجهة إلى مقهى صغير يبعد عشرات الأمتار كانت قد اعتادت التردد إليه مع داني. دفعت الباب الزجاجي ثم أخذت تتفحص المكان بحثاً عن زاوية هادئة يمكنها أن تتمالك نفسها فيها قبل أن تعود إلى بيتها من دون رؤية داميين.

استقرت عيناها على رأس أشقر ذي خصلات متطايرة في الزاوية الشمالية. كان منحنياً نحو رأس فتاة حمراء الشعر، وقد اشتبكت أيديهما فوق المائدة التي تفصل بينهما.

انحبست أنفاسها في حلقها وتوترت معدتها من هول الصدمة. وفي هذه اللحظة، شعرت بيد عريضة تستقر على كتفها وشعرت بجسد داميين الدافىء يلامس جسدها من الخلف.

- سيارتي في الخارج إذا كنت لا تزالين ترغبين في أن أوصلك.

استدارت إميلي مبتعدة عنه وخرجت متعثرة من المقهى بعينين لا تريان، فكادت تلوي كاحلها عندما داست على علبة مرطبات فارغة.

شعرت به يقبض على مرفقها ويقول: «هيا بنا. سيارتي تقف في تلك الناحية».

تبعته بصمت ويدها لا تزال في يده، فيما ذهنها مشغول بصورة داني مع بديلتها جالسين إلى الطاولة نفسها التي اعتادت أن تجلس إليها معه.

انهمرت من عينها دمعة لم تستطع أن تمنعها، فمسحتها بعنف، ولكن

www.elromancia.com

داميين رآها فقال: «هيا. لدي ما أقوله لك».

صعدت إميلي إلى السيارة بصمت، والذهول والهلع لا يزالان يسريان في عروقها. وتملّكها استياء بالغ كان داميين مارغيت الشاهد الوحيد عليه.

٢ - أراك في المحكمة

لم تلاحظ إميلي أنه لم يتجه إلى بيتها إلا بعد أن فات الأوان. ولاحظت أنه اتجه نحو منطقة «دوبل بي» ليقف أمام منزل بالغ الفخامة..

قالت بشراسة: «أريد أن أذهب إلى بيتي».

- سآخذك إلى بيتك بعد أن أنتهي منك.

لم تعجبها نبرته. ما الذي يريد أن يقوله؟ وخفق قلبها جزعاً. من المؤكد أنه لا ينوي إيذاءها. نظرت إليه وحاولت أن تطمئن نفسها. لقد أجرت مقابلات مع مجرمين خطرين أثناء تحضرها لكتابها الثاني، إنما حصل ذلك في زنزانات السجن والحرس من حولها. من ذا الذي سيأتي لنجدتها لو نوى داميين مارغيت أن يلحق بها الأذى؟

لحقت به إلى داخل المنزل الفسيح، واتسعت عيناها ذهولاً وهي تنظر إلى الرخام في الردهة. كان تمثال العمة روز في شبابها يقف منتصباً بكبرياء وقد أبرز الضوء ملامحها الرائعة الجمال. تسمّرت إميلي مكانها، متلهفة للتقدم من التمثال ولمس ملامح الوجه الكلاسيكية هذه.

قال داميين من خلفها: «كانت في التاسعة عشرة عندما وقفت أمام النحات ليصنع لها هذا التمثال».

قالت بصوت خافت: «إنها... إنها رائعة الجمال. من هو النحات؟».

اتجه إلى إحدى الغرف، مشيراً إليها بأن تتبعه وهو يقول: «أنت لا تعرفينه».

- قل، فقد أعرفه.

www.elromancia.com

هز رأسه: «لم يكن هذا التمثال للعرض على العموم، ولهذا لا فائدة من أن أخبرك باسمه. لقد مات منذ زمن طويل، كما أن روز... ليست هنا لتمنح إذناً بذلك».

- أين هي إذن؟ قال داني إنه لا يعلم، لكنك أنت تعلم بكل تأكيد.

اشتبكت عيناه بعينيها لحظة طويلة ثم قال: «روز تقيم حيث لا يزعجها أمثالك. أنا واثق من ذلك».

- لكن هذا ليس عادلاً بالنسبة إلى جمهورها الذي يحبها. الغموض الذي يكتنف اختفاءها أطلق الشائعات. كل ما عليك أن تفعله هو أن تصدر بياناً عن مكان إقامتها فيتركها الناس بعدئذ وشأنها.

أظلم وجهه غضباً وهو يخلع سترته ويلقي بها على إحدى الأرائك: «رأيت ما يفعله الناس بمن لا حاجة بهم إليه. على أيّ حال، ما الذي قد يجعلني أعطيك هذه المعلومات؟ ستعطينها للصحف خلال دقائق لتحصلي على شيك باسمك. لقد رأيت كيف تعملين. ما لا تعرفينه تلفّقينه فيتهافت عليه الناس».

- لم أكن أعلم أنك تهتم بعملي إلى هذا الحد.

- أنا غير مهتم، لكنني أعلم وحسب كيف يعمل أمثالك من الناس. ألم يكن هذا هو سبب الاستراحة القصيرة تلك التي أمضيتها مع داني؟

فحملقت فيه: «ماذا؟».

ضحك بخشونة: «لا تزعجي نفسك بالإدعاء بأن تحوّله عنك حطم قلبك. لا شك في أنك حصلت منه على كافة المعلومات المفيدة، والآن، وبعد أن حصلت على ما تحتاجينه لكتابك، لن يتطلب نسيانك له وقتاً طويلاً».

شحب وجهها: «كنا، أنا وداني...».

فقاطعها بوقاحة: «هل تورطت معه؟».

- هذا ليس من شأنك.

هزّ كتفيه بعدم اهتمام: «كنت أتساءل فقط إلى أين يصل أمثالك

بعلاقاتهن. أظن أن ما من شيء يمنعك من الحصول على ما تريدين».

- أنت تثير الاشمئزاز.

فقال ساخراً: «لكنك اخترت الأخ الخطأ. أليس كذلك؟».

اشتدت قبضتاها إلى جانبيها، وتمنت لو أن لديها الشجاعة الكافية لتصفعه، بينما تابع هو يقول: «أعني أنه كان عليك أن تحاولي استمالتي أنا بدلاً منه. فأنا وكيل روز القضائي وليس داني. فهو لا يعرف شيئاً عن أعمال روز».

- ما كنت لأحظ من شأني...

وتركت ملاحها الساخرة تكمل بقية كلامها.

أطلق ضحكة خشنة وهو يفتح خزانة: «كان داني يعبث معك كما كنت تعبثين معه. وكلاكما حصل على ما يستحق».

- وما شأنك أنت بهذا كله؟ وما هي خطتك لهذه الليلة؟

- داني جبان عند المواجهة. أما أنا، فأحب المحاربة.

قالت وهي تحملق فيه بحقد: «على أيّ حال، لا بد أنك استمتعت بذلك. في الواقع، يبدو أنك خططت لهذا الأمر جيداً».

- لم أكن أعلم أنه سيقصد الليلة ذلك المقهى.

فقالت متهمة: «لم يكن لديك فكرة؟».

- أنا لست على هذا القدر من القسوة مهما كانت فكرتك عني. لقد اتصل بي داني وسألني إن كان بإمكاني أن أحل مكانه الليلة... وهذا كل ما في الأمر.

نظرت إليه بازدراء: «يا لشهامتك! أخبرني، وماذا طلب منك أن تفعل الليلة أيضاً؟».

- لدي هامش من الحرية. ومعاشرة العدو أمر وارد.

كادت تختنق: «وكأنني سأسمح لك بذلك؟».

نظر إليها متأملاً وقال: «أنت تفعلين أي شيء لتحصلي على قصة تكتبينها. أليس هذا ما تفعلينه؟».

www.elromancia.com

- ليس (أي شيء) تماماً.

ضحك: «تبدين كعذراء من العهد الفيكتوري. لكنني لا أظن هذا، أليس كذلك؟ سمعت أنك أقمت علاقة قصيرة مع بطل كتابك الأول، رغم أنه لم يحقق له أرباحاً؟ لعل جائزتك الليلة تشكّل تعويضاً ولو متأخراً».

فقالت: «لا يمكنك أن تصدق كل ما تقوله الصحف».

رفع حاجبيه: «ماذا حدث؟ هل تملّكه الغثيان من معاشرة دفتر؟ أتصوّره في أكثر اللحظات حميمية يتنافس مع دفتر الملاحظات».

- هذا أسهل من منافسة زوج الرفيقة.

ردّ بعنف: «أراك مصممة على مخاصمتي. لا أدري إذا كانت قادرة على ذلك».

فقالت متحدية: «جرّبني. يمكنني أن أعطي بقدر ما آخذ».

- سنرى هذا في ما بعد.

صمتت للحظات قبل أن تسأله: «أنت مقرّب من روز، أليس كذلك؟»

- إذا أردت معلومات، فعليك أن تستخرجيها بقوة أكبر.

- لن أضيّع وقتي. على أيّ حال، ليس لديك المعلومات التي أريدها.

- يبدو أنك واثقة تماماً من ذلك.

- ما الذي يمكنك أن تقدمه؟

- وما الذي تريدينه؟

- أريد أن أعلم لماذا اختفت روز من الحياة العامة.

- ظننت أنّ الكل يعرف أنها اعتزلت بسبب إدمانها.

عضت إميلي شفتها. أخبرها داني أن هذه القصة صحيحة، لكنها لم تتمكّن من إثبات ذلك علماً أنّ أن وكيلتها لو سمعت بذلك لأصرت على نشره، فهذا يزيد من بيع الكتاب.

- لقد حصلت على المعلومات من مصدر جيد.

- لقد اخترت المصدر الخطأ. استشرت محاميّ، أردت مناقشت الأمر معك الليلة.

اتسعت عينا إميلي. رأت في ملامحه أن ثمة أمر هام للغاية، بينما أردف: «أريدك أن تتوقفي عن تأليف الكتاب».

حدقت إليه بذهول، ثم قالت: «أنت... لا يمكن أن تكون جاداً».

- استمري في الكتابة، فأرفع عليك دعوى... الخيار لك.

قالت بحقد وهي تبتلع خوفها: «أهذا السبب رافقتني الليلة؟ لم تفعل هذا لتحميني من غدر أخيك... بل لتسدّد إليّ هذه الضربة المهلكة».

تحوّل دامين يواجهها: «لا أريد أن أؤذيك شخصياً، لكنني أصرّ على أن أحمي أسرتي بأي ثمن».

- ألا يتضمن هذا القضاء على عملي؟

تردد قبل أن يجيب، قائلاً: «ثمة أمور عرضية طارئة تحصل في هذا النوع من الأوضاع. ما من مشكلة شخصية».

- لا تجعلني أضحك، أنت تنوي القضاء عليّ، أليس كذلك؟

- هذا غير صحيح. في الواقع، أنا أشعر بالأسف من أجلك.

- لأي سبب؟

- أنت دمية في يد الآخرين. وأمثالك هم الذين يخسرون في النهاية.

التمعت عيناها استياء: «أرجو أن توضح لي هذا».

هزّ كتفيه بطريقته الغامضة: «أنت تحت سيطرة الناشر والوكيلة. وأظنك تمضين معظم الوقت في كتابة ما يريدانه وليس ما تريدينه أنت».

شعرت إميلي فجأة بالعجز والفضيحة. لكنها قالت: «لا تكن سخيفاً. أنا أكتب ما يريد الناس أن يقرأوه».

- أتعنين الأكاذيب؟ التخمينات؟

- لا، بل حقائق.

سخر غير مصدق: «أنت مخدوعة مثل قرائك، ولا يمكنك تمييز الحقيقة حتى لو تجلّت أمامك».

فقالت متحدية: «لا بأس، أخبرني الحقيقة إذن! لماذا اختفت روز من الحياة العامة؟ إذا كنت تدافع عن الحقيقة إلى هذا الحد، فنوّرني».

www.elromancia.com

- ماذا؟ هل تعتاشين من وراء فضح ترتيبات اتخذتها امرأة عجوز لم تعد تريد أن يلحظها المجتمع.

- لقد اختلطت بالمجتمع لأكثر من خمسة وثلاثين عاماً. أليس لهذا حساب؟

- لا، ما دامت هي لا ترغب في ذلك. المشاهير ليسوا ملكاً للناس إلا إذا سمحوا بذلك. وقد رأت روز أن ما أمضته في الحياة العامة يكفي، وقررت أن تمضي بقية حياتها في الاعتزال. وأنا أحترم رغبتها وهذا ما ينبغي عليك أن تفعليه أنت أيضاً.

- لكن لماذا كل هذا التكتّم؟ الكثير من المشاهير ينسحبون من الحياة العامة من دون مشكلة. اعتزال روز المفاجىء أثار فضول الناس. بيان منك ومني يمكن أن يريح فضولهم فتمضي بقية حياتها بسلام.

حدّق إليها قبل أن يقول: «أنت لا تذعنين أبداً، أليس كذلك»؟.

ردّت: «أنا ملتزمة بتزويد القراء بما يريدونه».

- حتى لو ألحقت الضرر بأناس أبرياء؟

عضت إميلي شفتها. فهي ما زالت تتذكر والديّ بطل كتابها الماضي، إذ توسلا إليها كي تظهره بشكل مختلف، لكنها اضطرت لاتباع إرشادات وكيلتها.

- أنا أفعل ما يطلبونه مني.

- حسناً، أنا أطلب منك أن تتوقفي عن تأليف الكتاب. اكتبي شيئاً آخر، أي شيء ما عدا كتاباً عن عمتي.

- لا أستطيع. هذه الجائزة التي استلمتها الليلة تؤكد نجاحي. وكيلتي تلحّ عليّ كي أعقد اتفاقية مع الناشر.

تناول سترته الملقاة على كرسي، وسألها وهو يخرج محفظته: «كم تريدين؟ يمكنني أن أغطي خسائرك. كم تريدين؟».

شعرت إميلي بالغثيان، وبالحقارة لما تضمنه كلامه من إهانة فقالت بفتور: «لا يمكنك ذلك».

فرفع حاجبه: «بل يمكنني أن أغطي التكاليف وأساعدك في طبع كتاب جديد. كتاب أقل إثارة للجدل».

- الجدل يزيد مبيعات الكتاب. وأنا بحاجة إلى زيادة المبيعات وإلا انتهت حياتي المهنية.

فسألها مرة أخرى: «كم تريدين؟».

نظرت إليه ساخرة: «هل هذا ما تقوله لكل الفتيات؟».

فأظلم وجهه: «إنني أقدم لك عرضاً سخياً فإما أن تقبليه وإما أن ترفضيه».

فقالت بغطرسة: «بل أرفضه. ثمة أمور كثيرة تعتمد على صدور هذا الكتاب».

- هل تريدين أن تجازفي بكل ما لديك من أجل ذلك؟

فحملقت فيه: «إفعل ما تشاء يا سيد مارغيت، فأنا لا أخافك».

فقال محذراً: «بل عليك ذلك. لديّ وسائل قادرة على تدمير حياتك الأدبية».

- إن شوقي لمعرفة سبب رغبتك هذه يزداد. يبدو لي أنك خائف من فكرة صدور كتابي، ما يجعلني أتساءل عما تريد أن تخفيه. بحسب مصادري، كانت علاقتك أنت وداني بروز ضعيفة للغاية في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، ما جعلني أعجب من اندفاعك لحمايتها الآن.

نظر إليها بحزم: «أخبريني يا آنسة شيروود، هل نشأت في أسرة مترابطة؟».

خفضت إميلي بصرها: «لدي أخوان، وقد توفيّ والداي منذ سنوات طويلة».

- آسف لهذا.

نظرت إليه، وقد لمست إخلاصاً في تعليقه البسيط هذا ما أثّر في نفسها بشكل غير متوقع. قالت: «لا بأس... لم تكن أسرتي... مترابطة أبداً. فقد تطلق والداي عندما كنت في الرابعة. ولهذا اعتدت الوحدة».

www.elromancia.com

جلس داميين على حافة الأريكة وسألها: «هل هذا هو سبب اختيارك كتابة سير الناس؟».

- ماذا تعني؟

- أعني أنّ الكتابة عن أسر الآخرين قد تعكس حاجة دفينة في نفسك؟

لم تجب، بل سارت نحو المكتبة وأخذت تتفحص محتوياتها. لاحظت أنه قارىء جيد، ولكنها لم تر أثراً لاسمها بين هذه الكتب، ما جرح كبرياءها وأثار قلقها كما لم يحصل معها من قبل.

أضاف: «أليس هذا هو السبب في تنقيبك في حياة الآخرين الخاصة؟ للتعويض عن الأسرة المترابطة التي لم تعرفيها؟».

- حياة الآخرين تجذبني، حتى حياة غير المشاهير منهم، ولا علاقة للأمر بشخصيتي. كما أنّ هذا يحقق لي ربحاً وافراً.

- أيتها الذئبة القاسية، لا علاقة للأمر بالمال على الإطلاق بل بالتسلّط. وخيانة داني لك سبب آخر جعلك تكرهين اسم مارغيت، أليس كذلك؟

وألقى بمحفظة نقوده على الطاولة مزمجراً. حاولت أن تحرجه بنظرة طويلة، لكن عينيه كانتا تشتعلان بكراهية أفزعتها.

- إن فكرتك عن عمل كاتبي السير ضعيفة جداً إذا ظننت أنني وبعد هذه الأشهر كلها التي أمضيتها في البحث والتنقيب، سوف أتخلى عن هذه المهمة لأن أحد أقرباء صاحب السيرة لا يريد ذلك...

وقف أمامها وقد ضاقت عيناه ثم قال: «داني ولويز يخرجان معاً منذ أشهر. لو أنك تلك الصحفية القوية الملاحظة، لاكتشفت ذلك منذ البداية».

توهج وجهها لكنها تمالكت نفسها. كان داميين مارغيت خصماً عنيداً، في حين أنّ داني ظريف ومسلي... وقد نفعها أيضاً إذ سهّل وصولها إلى ألبومات صحف وصور الأسرة. لكنها لم تكن مغرمة بداني، ما جعلها تشعر بأنها حمقاء للغاية.

ردّت عليه بعنف: «لعلي مثلك، لا أمانع في المشاركة».

تحرك بسرعة فمنعتها الأريكة خلفها من الهرب لتجد نفسها فجأة محاصرة.

- أتذكر أنني حذرتك من التطفّل على شؤوني الخاصة، لكنك لا تصغين.

وعندما استطاعت الكلام، بدا صوتها مختنقاً: «أنا... أنا لست خائفة منك».

رفع ذقنها بإصبعه واخترق عينيها بنظراته الحادة: «بل أنت كذلك. لقد علّقت كافة آمالك على كتابك الجديد هذا، بينما لدي كل الأسباب التي تجعلني أمنعك من كتابته».

- لا يمكنك أن تمنعني.

- آه... لا يمكنني؟

تملّكها الذعر وهي ترى التحدّي في عينيه: «سأحاربك».

فضحك ساخراً: «هيا، حاربيني».

تلهفت لتخمش وجهه. كل عصب في جسدها أراد أن يجعله يركع على ركبتيه، أن يجعله يتوسل إليها.

تقابلت أعينهما، وانحبست أنفاسها لقربه منها. كان وجهه قريباً من وجهها وعيناه في عينيها فكادت ساقاها تذوبان ومع ذلك لم يكن لديها القوة أو الرغبة اللازمتين للابتعاد عنه. أرادت من ناحية، أن ترى المدى الذي سيصل إليه. كما أرادت من ناحية أخرى أن تدفعه عنها...

عانقها فأذهلتها حرارته وتصميمه. كان العناق بقصد العقاب، فارتجعت متراجعة، لكن ذراعيه القويتين لم تدعا لها فرصة لذلك. كان عليها أن تقاومه، لكنها وبدلاً من أن تدفعه عنها تشبثت بكميّه تقرّبه من جسدها المحموم.

شعرت بحرارة نظراته وهي تحوم فوقها لكنها وجدت من قوة الإرادة ما مكّنها من أن تدفعه عنها.

- كلا!

www.elromancia.com

لمعت عيناه بسخرية: «كلا؟».

حوّلت نظراتها بعيداً فنظرة الازدراء التي رمقها بها جعلتها تشعر أنها رخيصة. واحمرّ وجهها، فقال بلهجة مهينة: «لن أخبر داني. سرّك في أمان معي».

شعرت إميلي بالغثيان. كيف وضعت نفسها في موقف كهذا؟ ليلتها العظيمة تحولت إلى مهزلة كبرى. لقد استغل الوضع جيداً فبدت حمقاء. بقي منذ البداية، متمالكاً نفسه، وها هو الآن ينتظر فرصة ليستغني عنها نهائياً.

قالت بعنف: «إذا ظننت أن بإمكانك أن تحتال عليّ بمثل هذه الوسائل، فأعد التفكير مجدداً، لأنني أعرف كيف أتعامل مع هذه التصرفات».

فرفع حاجبيه: «أوضحي كلامك»

لمعت عيناها كراهية: «أنت كغيرك من الرجال. تظن أنه يكفي أن تشير بإصبعك لتتهافت عليك النساء. لكن اعلم أني لن أضيف اسمي إلى قائمة غزواتك».

أدركت إميلي أنها تجاوزت حدودها إذ سمّرتها نظراته الحاقدة. وأجفلت حين أمسك بمعصمها وجذبها إليه: «ليست الكلمات التي كتبتها وحدها هي الخطيرة، بل الكلمات التي تخرج من فمك أيضاً. لكنني سأجعلك تندمين على كل كلمة قلتها».

- قلت لك إنك لا تخيفني.

وشهقت عندما شدّها إليه أكثر، وقال وكأنها لم تتكلم: «لديك أسبوع واحد لتتخذي قرارك. إذا لم تتراجعي عن فكرة تأليف ذلك الكتاب، تعاملنا القادم سيكون بواسطة المحامي».

- لا يمكنك أن تفعل ذلك!

فقال متحدياً: «جربيني».

خفق قلبها ذعراً. إذا اشتمّ الناشر رائحة دعاوى، فسيتوقف عن التعامل معها على الفور.

ابتعدت عنه بسرعة، ثم تناولت وشاحها وحقيبة يدها واتجهت إلى

الباب. فقال: «سأوصلك إلى بيتك».

استدارت وحملقت فيه: «أفضّل أن أزحف على ركبتيّ على أن أقبل ذلك. سأراك في المحكمة».

ثم فتحت الباب بعنف وخرجت.

www.elromancia.com

٣ - أريده بأيّ ثمن

أوقفت إميلي أول سيارة أجرة ثم صعدت في المقعد الخلفي وهي ترتجف وقلبها يخفق فيما هي تتذكر تهديد داميين. وغامت أضواء المدينة أمام ناظريها وهي تفكر في خطوتها التالية.

ليس لديها ما يؤهلها لمقاتلة شخص مثل داميين. فمهنتها معلقة بخيط. ومنذ أيام قليلة، نبهتها وكيلتها إلى أهمية نجاح هذا الكتاب.

أنزلتها سيارة الأجرة فوقفت ورفعت بصرها إلى شقتها الصغيرة متأملة. لقد كافحت كثيراً لتحصل على مكان يمكنها أن تعتبره ملكها. نجاح أول سيرة كتبتها عن سياسي بارز، ساعدها على دفع العربون وتأثيثها، لكن فشل كتابها الثاني هزّ استقرارها نسبياً، لولا تشبثها بوعود من مدير مصرفها وبوظيفتها في مطعم محلي.

كانت تحلم باليوم الذي ستتمكّن فيه من أن تكتب طوال النهار، لكن هذا الحلم لم يتحقق بعد. لهذا، أخذت تدوّن ما يخطر لها من أفكار في دفتر ملاحظاتها كلما سنحت لها فرصة، لتطبعها لاحقاً على جهاز الكمبيوتر النقال القديم، عاملة بسرعة بالغة، محاولة قدر إمكانها أن ترضي المحررين كلاريس التي تدّعي أنها تؤمن بها لكنها غالباً ما تتصرف وكأنها تتلهف إلى التملّص من العقد الموقّع بينهما.

تنهدت إميلي وهي تنتظر المصعد. لن تستسلم من دون عراك حتى لو استنفد ذلك كل ذرة من شجاعتها. لعل داميين مارغيت يظن أن بإمكانه أن يخيفها بتهديده لكنها ستريه. أمامها عطلة نهاية الأسبوع كلها لكي تضع خطة مواجهته.

لم تنم جيداً، وقد منعها شعورها بالمهانة من الإسترخاء. وحالما دقت الساعة الثامنة إتصلت بكلاريس التي أجابت بصوت ناعس: «نعم؟».

- هذا أنا يا كلاريس. أريد أن أقوم بجولة لتسويق كتاب (خزانة روز).

فاحتجّت كلاريس: «لكنك لم تكتبيه بعد؟».

- وماذا في ذلك؟ لقد ربحت تلك الجائزة وسيشتري الناس كتابي الأول. أريدك أن ترتبي أمر عرض ما أمكن من نسخ من كتابي (ذاهب إلى التصويت). ولا تكتفي بالمكتبات... بل أعرضيه أيضاً في مراكز التسوق وأعلني عنه في الراديو والتلفزيون.

فقالت كلاريس: «لا أصدق ما اسمعه. أخبرتني بعد كتابك (محاكمة تايسون) أنك لن تقومي بأيّ حملة دعائية مرة أخرى».

- أعرف، أعرف... لكن الوضع مختلف الآن.

- هل يعلم الفتى بذلك؟

- هذا أمر لا يخفى على داني مطلقاً.

- وماذا عن أخيه؟ لا أظن أنّ هذه فكرته؟

- داميين مارغيت رجل مغرور يحتقر الآخرين، ولعله لم يقرأ سوى الصحيفة الاقتصادية منذ ترك المدرسة! أريد دعم نفسي وتشجيعها ولن أسمح لأحد بأن يقف في طريقي.

- يا لك من بطلة! امنحيني ساعتين لأرى ما يمكنني أن أقوم به في هذا الوقت القصير.

- شكراً يا كلاريس، لن تندمي على ذلك. أعلم أننا ستنجح هذه المرة.

- نعم، حسناً. من الأفضل أن يحصل ذلك، يا حبيبتي. لا يمكننا أن نحتمل كارثة أخرى مثل (محاكمة تايسون).

كرهت إميلي أن يذكّرها أحد بكتابها الذي تناول حياة فتى مذنب. عندما انتحر تايسون خلف قضبان السجن، الكل أخذ يلومها، بما في ذلك أسرته الذاهلة المضطربة. فمضت عليها أشهر قبل أن تفكر في الكتابة مرة أخرى، وذلك بعد أن تعرفت بداني صدفة.

www.elromancia.com

دخل إلى المطعم الذي تعمل فيه، وأخذ يثرثر معها ويغازلها. وعندما وقّع على الحساب، لاحظت أنّ شهرته مارغيت، فأشارت إلى ممثلة المسرح الشهيرة روز مارغيت التي اكتسحت عالم المسرح كالعاصفة، لتختفي لاحقاً عن الناس بشكل غامض.

قال لها وهو يعيد البطاقة إلى جيبه: «إنها عمتي».

وقبلت دعوته للخروج تلك الليلة إلى مكان ما.

في تلك الليلة عادت إلى الكتابة بعزم. ألقت إميلي ملخص الكتاب على مكتب كلوريس كونور فسألتها: «ما هذا؟ سيرة من دون إذن رسمي عن حياة روز مارغيت؟ هذا رائع يا عزيزتي! ولكن هل عليك أن تخرجي مع ذاك الفتى لكي تحصلي على هذه المعلومات كلها؟».

فأجابت إميلي ضاحكة: «الأمر مغرٍ».

لم تكن تعرف شقيق داني الأكبر حتى دخل داميين ذات مساء إلى المطعم متأبطاً ذراع امرأة أنيقة. كانت قد رأت اسمه في دفتر الحجز.

لاحظت «خاتم» الزواج الذهبي في إصبع رفيقته. كان داني قد حدثها عن علاقة أخيه بزوجة رجل أعمال بارز لكنه أصرّ على ألاّ تأتي على ذكر أخيه في كتابها.

تبيّن لها أنّ كتابة سيرة روز مارغيت أصعب مما توقعت. كان داني كريماً معها. فأعطاها الرسائل و«ألبومات» الصور وصحيفتين تتحدثان عن طفولتها. ووجدت في المكتبة الكثير من قصاصات الصحف، كما أن عدداً من المسارح سمح لها بتصفّح سجلاته حيث زيّن وجهها الرائع الصفحات. لكن، وبالرغم من أن إميلي تمكّنت من جمع معلومات عن طفولة روز وعن سنوات عملها، إلا أنّ الثغرات التي بقيت جعلت مهمة تدعيم بحثها صعبة للغاية.

طلبت من داني أن يساعدها على إجراء مقابلات مع الأقرباء والأصدقاء. لكن يبدو أن آل مارغيت ليس لديهم أصدقاء حميمين، كما أنّ الأقرباء كانوا كتومين كداميين.

وأخيراً قررت أن تقصد داميين مارغيت مرة أخرى. إنه وكيل روز القانوني، ولعله يوافقها الرأي على أن جمهور روز المغرم بها من حقه أن يعرف ما جرى لها.

حدد لها موعداً في مكتبه حيث جلست لأكثر من ساعة في انتظاره. أحست أن تأخره متعمد، وعندما وصل أخيراً، جاهدت للتحكم في أعصابها لئلا تنفجر غاضبة، ثم رسمت ابتسامة مصمّمة على فمها وهي تجلس على المقعد قبالته.

سألها وهو ما زال واقفاً: «أي خدمة يا آنسة شيروود؟ هل تريدين استشارة مالية»؟

زادت كراهيتها له، وأجابت: «كنت أرجو أن نتحدث قليلاً عن عمتك...».

- كلا.

جاءت كلمته هذه صلبة حادة... فتنفست بعمق تهدىء أعصابها ثم حاولت مرة أخرى: «ماذا لو كنت أنت مصدر المعلومات لكتابة هذه السيرة؟ سأكتب فقط ما تريدني أن أكتبه. ستكون لك السيطرة الكاملة».

اخترقت عيناه الشبيهتان بعيني الصقر عينيها الزرقاوين: «أخبرتك من قبل أنني لا أريد أن أكشف أي معلومات عن عمتي لأحد، لاسيّما لك».

شبكت إميلي يديها في حجرها وقد منعها الإحباط من أن تضرب بهما المكتب غاضبة. كانت واثقة من أنه يعلم أنها توشك أن تفقد هدوءها فحاولت أن تتحكم في أعصابها، لكن أظافرها انغرزت في راحتيها حين تكلمت مجدداً: «ولكن أليس من الأفضل أن تعمل امرأة مثلي مع الأسرة وتقدّم الحقيقة للناس، بدلاً من أن نسمح للشائعات بأن تستمر؟ الشائعات التي أحاطت باختفائها بعد آخر ظهور لها كانت شنيعة».

ساد بعض الصمت قبل أن يتقدم ليقف أمامها. تململت في مقعدها ورفعت بصرها فتشابكت نظراتهما، ثم سألها بصوت بنعومة المخمل: «إلى أي حد أنت مستعدة للتقرب من أسرتي كي تحصلي على المعلومات؟

www.elromancia.com

فابتلعت ريقها : «أريد أن أصدر هذا الكتاب، وبأي ثمن».

نظر إليها متأملاً : «لم أعرف أحداً مشبوب العواطف نحو عمله، ما يجعلني أتساءل إن كانت عواطفك مشبوبة في مجالات أخرى أكثر متعة».

شعرت إميلي بحرارة جسده قرب جسدها. لم يكن عليها سوى أن تمد يدها لتلمسه، لكنها وقفت بثاقل وهي تقول بصوت متهدج : «أظن... أن الوقت حان لأخرج».

وفيما هي تقف، تعثرت قدمها بقائمة الكرسي فترنحت وأوشكت على السقوط لولا أن تلقاها بسهولة وأسندها بذراعه القوية.

- لمَ هذه العجلة، يا آنسة شيروود؟ أم ربما عليّ أن أدعوك إميلي بما أنك تسعين لكلتقرب من أسرتي؟

أجفلت إميلي وهي تشعر بيديه تنزلقان على ذراعيها لتمسكا بيديها، فتسارعت أنفاسها بالرغم من تصميمها على أن تبقى هادئة.

قالت لاهثة : «دعني أذهب».

شعرت بيديه تشتدان على يديها ثم شدّها إلى جسده : «لكنني ظننتك تريدين أن تتقرّبي منا، نحن أسرة مارغيت؟».

فقالت وهي تحاول أن تتملص من بين يديه الحديديتين : «لقد غيّرت رأيي».

- يا لخيبة أملي! ظننتك أكثر حيوية.

- إنني أعقل من أدعك...

- تدعينني أقوم بماذا؟ بمعانقتك؟ وماذا لو فعلت أكثر من ذلك؟

- سأصرخ، وسأتهمك بالتحرش. لا يحق لك أن تمسك بي بهذا الشكل رغماً عني وأنا...

أنهى عناقه احتجاجها، ورغم إدراكها أن عليها أن تخمش وجهه بأظافرها إلا أن يديها أحاطتا بعنقه ثم أخذت أصابعها تتخلل شعره الأسود الكث.

فجأة أطلقها فكادت تقع لولا تمسّكها بحافة مكتبه.

- فهمت الآن سبب انجذاب أخي داني إليك، لكنني لن أسقط صريع سحرك الذي لا شك فيه، وأنطق بكل المعلومات كما فعل هو.

- علاقتكما ليست حميمة، أليس كذلك؟

- أنت تعرفين المثل الذي يقول : (يمكنك أن تختار أصدقاءك ولكن لا يمكنك أن تختار أقرباءك).

- نعم. أعرفه.

لا بد أنه أحس بشيء ما في لهجتها لأن نظراته اشتبكت بنظراتها مرة أخرى.

- الولاء للأسرة أمر بالغ الأهمية بالنسبة إلي. وأنا أفعل كل ما في وسعي لأحافظ عليه.

- هذا يدعو للإعجاب بكل تأكيد.

- ربما ليس لديك فكرة عما قد أفعله من أجل عمتي.

فأجابت : «أظن أن الصورة توضّحت لي. فأنت لم تتورع عن فعل أيّ شيء حتى الآن».

تفحص وجهها لحظة طويلة، ثم قال ساخراً : «هل هذا ما تفعلينه مع من تقابلينهم من أجل كتبك؟ عدا عن أولئك الذين تعاشرينهم أولاً؟».

التمعت عيناها ورفعت رأسها متحدية : «أظنك تشير إلى أخيك؟».

- أنا واثق من أنه لم يكن الوحيد. ولكن نعم، أنا أشير إلى أخي.

فقالت كاذبة : «كان أخوك نبعاً للمعلومات».

لوى داميين شفتيه : «لا شك في ذلك بعد تعرضه للإغراء».

وعاد ينظر إلى جسدها.

فتصلب جسدها غضباً لكنها قالت محاولة التحكم في أعصابها : «يا سيد مارغيت إنني أروي سيرة حياة عمتك بشكل صحيح ودقيق. لا أريد بأي شكل أن أنفّر القراء، إلا أنني كنت أرجو أن أتمكن من مقابلة أسرتها لكي أقدم إلى الناس صورة حقيقية عن حياتها الشخصية والمهنية معاً. وإذا لم تتعاون معي سألجأ إلى وسائل أخرى».

www.elromancia.com

- لماذا أزعجت نفسك بالمجيء إلى هنا؟ لماذا لم تفعلي ما تفعلونه عادة فتلفقين الأحداث حسب رغبتك؟

- أنا لا أعمل بهذا الشكل، بل أؤمن بكتابة الأحداث كما هي. ولهذا السبب أريد لكتابي أن يكون صورة حقيقية. كانت عمتك وأنا أعني ذلك، شخصية فريدة من نوعها...».

- لم تعد عمتي ملكاً للناس. لعلك تظنين أن خروجك مع أخي يمنحك الإذن بالكتابة، لكنني آسف لأنك مخطئة إلى حد كبير.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها عمتك؟

- هذا ليس من شأنك. والآن أخرجي.

- ولكن من المؤكد...

- قلت لك أن تخرجي يا آنسة شيروود، وأنا أعني ذلك.

تورد وجهها وتنفست بعمق: «لا أريد أن أسبب أي إزعاج يا سيد مارغيت، لكنني...».

- أخرجي من هنا بحق جهنم. هل تسمعينني؟

خرجت إميلي وصفقت الباب خلفها، فيما راحت ساقاها ترتجفان، وقد تملكها شعور بالسخط لجبنها. لامت نفسها لعدم وقوفها في وجهه، ولعدم دعوتها له لتنفيذ تهديده. لكنه جعلها، بشكل ما، تشعر بالحزن. شعرت وكأنها قطة جرباء مهملة تزحف عند قدميه بحثاً عن فتات خبز. كيف ستتمكن من تأليف هذا الكتاب بدون مساعدة أقرباء روز؟ لم تتزوج روز قط ولم ترزق بأولاد، وداميين وداني هما قريباها الوحيدان الحيّان بعد أن توفي أخوها دونالد.

لم تشأ إميلي أن تخمن أو تعتمد على الشائعات. أرادت أن تكتب الحقيقة عن امرأة أحبها الشعب وما زال يفتقدها. لم تشأ أن تفشل هذه المرة. لا تستطيع أن تفشل هذه المرة.

اتصل بها داني عند موعد الغداء.

قال: «أنا آسف بالنسبة إلى الليلة الماضية. كيف كانت حفلة

الكوكتيل؟».

- كانت ممتازة. لقد نلت جائزة على كتابي (ذاهب للتصويت). كان أخوك بالغ...

فقاطعها: «داميين؟ هل كان هناك؟».

عبست إميلي وسألته: «ألم تطلب منه أن يحل مكانك؟».

فأجاب بمرارة: «آخر ما يفكر فيه أخي هو أن يساعدني. ولا أدري ما الذي يهدف إليه».

- هذا هو السؤال نفسه الذي كنت سأطرحه عليك.

فشرع يقول: «أردت أن أخبرك...».

فقاطعته: «قبل أم بعد أن تتطور علاقتنا؟

- لا بد أنك ترينني رجلاً نذلاً للغاية.

- يكفي أن أقول إنني لاحظت الشبه العائلي.

- إذن فقد تعاملت مع داميين؟

- يمكنك أن تقول ذلك.

- أرجو ألاّ يكون قد تعامل بخشونة بالغة معك. إنه يتولى حماية روز نوعاً ما.

ضحكت إميلي بازدراء وقالت: «يتولى حمايتها نوعاً ما؟ قد يظن المرء أنه ابنها من الطريقة التي...».

وسكت داني. فحدقت إميلي في الهاتف وقد تشوش ذهنها.

- داني؟ هل هذا ممكن؟ هل يمكن أن يكون داميين ابن روز؟

- لا تكوني سخيفة، يا إميلي... أنت تعلمين أن روز لم تتزوج قط.

- لم يكن هذا سؤالي. هل يمكن أن يكون داميين ابن روز من علاقة في ماضيها؟

- داميين هو أخي الأكبر ويكبرني بأربع سنوات. ورغم أنه لا يشبهني إلا أنه يشبه أبي كثيراً.

- لكنكما غير منسجمين.

– كثيرون هم من الأخوة الذين لا ينسجمون مع بعضهم البعض، وهذا لا يعني أن ما من صلة قرابة بينهم.

– ولكن ألم تتساءل قط؟ أعني عن اختلاف داميين عنك؟ أخبرتني مرات عدة أنه كان على خلاف مستمر مع والديك.

– وأنت أخبرتني عن نفسك الشيء نفسه. هذا هو داميين. إنه يتحامل دوماً على الآخرين، ولو كنت مكانك لابتعدت عنه وتجنبته، فهو لا يتقيد بالقوانين. لا أريد أن يصيبك ضرر.

فقالت بسخرية بالغة: «إهتمامك بمشاعري أثر فيّ كثيراً».

– أنا حقاً آسف بالنسبة إلى الليلة الماضية. لكننا، أنا ولويز، نعرف بعضنا منذ وقت طويل.

– لا بأس، كان يمكنك أن تخبرني بذلك بنفسك. لم يكن ساراً أن يشهد أخوك الحادث فيشمت بنبذي.

– أنت لست منبوذة، ألا يمكننا أن نبقى صديقين؟

– هذا يعتمد قليلاً على أخيك.

– ماذا تعنين؟

وارتسمت في ذهنها صورة داميين وهو يهددها، فقالت: «لا بأس، سأتحدث إليك لاحقاً، فأنا مشغولة الآن».

توجّهت إميلي إلى حيث ملف أبحاثها لتراجع صور أفراد أسرة مارغيت التي أعطاها داني إياها لتنسخها، فوضعتها من حولها على السجادة وراحت تتفحصها مرة أخرى.

رأت صوراً عديدة لداني وهو طفل على الشاطىء وشعره البلاتيني يتألق في ضوء الشمس. أما داميين فيبدو وكأن تصويره حصل صدفة، إذ إنه يبدو دوماً في الجانب البعيد من الصورة. هل هذه مصادفة؟ أم أنها محاولة متعمدة لاستبعاد الأسمر الكئيب الشارد النظرات؟

وجدت صورة أكبر حجماً لوالد الصبيين. بدا دونالد مارغيت طويلاً صارم المظهر، واستطاعت إميلي أن ترى أوجه الشبه مع داميين بعرض

الكتفين والشعر الأسود. كانت أمهما كورا تلف وشاحاً ملوناً حول شعرها الأشقر وقد بدا وجهها الجميل كئيباً. وعندما عادت إميلي تتأمل الصور من جديد اكتشفت أن كورا لم تكن تبتسم إلاّ عندما تنظر إلى ابنها داني. لماذا لم تلاحظ كل هذا من قبل؟

وضعت إميلي الصور جانباً وأخذت تفكر في خطوتها التالية. أمامها أسبوع واحد قبل أن توقع على العقد الإبتدائي مع الناشر. أسبوع قبل أن ينفذ داميين مارغيت تهديده، أسبوع لاكتشاف الحقيقة.

وبعد نصف ساعة اتصلت كلاريس بها لتطلعها على أربعة مواعيد: «سيجرون معك مقابلة صباح الإثنين الباكر في «البرنامج الصباحي» ثم نتوجه مباشرة إلى الإذاعة. بعدئذ، اجتماع لاحتساء شاي الصباح مع رئيس تحرير مجلة «النقد الأدبي»، ومن بعدها، مقابلة مع «نادين بريتون» و «داميين مارغيت».

شهقت إميلي: «ماذا؟».

– نادين بريتون... أنت تعرفينها من ذلك البرنامج التلفزيوني، إنها تريد أن...

فقاطعتها إميلي بضيق: «أنا أعرف نادين، ولكن لماذا يحضر داميين مارغيت؟».

– ظننت أن هذا سيسرّك. يا له من انقلاب! لقد وافق ابن أخ روز أخيراً على إجراء مقابلة تلفزيونية.

– لكنني أجريت العديد من المقابلات مع داني...

– أعرف هذا، لكنه مجرد غلام بالنسبة إلى داميين مارغيت. فهو الذي يملك كافة المعلومات عن روز ومكان إقامتها، وهو الذي كان عليك أن توجهي إليه اهتمامك وليس ذلك الفتى العابث.

عبست إميلي لجرأة كلاريس. كان داني مارغيت أنانياً سطحياً، لكن داميين، مختلف. ولم تكن واثقة من قدرتها على التعامل معه، حتى أنها غير واثقة من رغبتها في ذلك. ماذا لو قال في المقابلة إنه سيرفع دعوى عليها؟

www.elromancia.com

ماذا لو سمع ناشر كتبها المقابلة؟ كيف يمكنها أن تمنعه من تدميرها أمام الجميع؟

قالت لكلاريس وهي تبحث عن قلم وورقة: «أخبريني عن الأوقات... سأكون هناك».

سجلّت المواعيد ثم أعادت السماعة إلى مكانها بعد أن أكدت لوكيلتها بأنها ستحضر في الأوقات المحددة.

ارتدت ملابسها بعناية، ورفعت شعرها، كما كانت زينة وجهها من دون عيب. كانت بذلتها أنيقة تتناسب مع لون بشرتها وقرطيها اللؤلؤيين. سألها المذيع عن أبحاثها بالنسبة إلى كتابها «خزانة روز»، فأجابت بثقة بالغة بالنفس.

لكن ما إن انطفأت أضواء الكاميرات، حتى تلهفت للرحيل. قالت لها كلاريس باسمة: «كنت رائعة. أعجبت بك وأنت تترددين حين سألك عن داميين مارغيت. حمرة الخجل على وجهك كانت ممتازة».

- لم أحمرّ خجلاً؛ إنها الكاميرات اللعينة تلك التي كانت أشبه بنار جهنم.

إبتسمت كلاريس وعيناها تلمعان، ثم قالت وهي تمسك بذراع إميلي: «هيا، علينا أن نتوجه إلى الإذاعة قبل أن يزدحم السير».

تبعتها إميلي وساقاها ترتجفان لفكرة أنها ستواجه داميين مارغيت شخصياً بعد أقل من ساعتين

٤ - زوجة على ورق

بعد مقابلة في الإذاعة لم تدم سوى ثلاث دقائق ما جعلها تراها مجرد إضاعة للوقت، انضمت إميلي إلى كلاريس في بهو «فندق ريجنت».

- إتصلت نادين لتقول إنها ستتأخر دقائق عدة. لقد رتبت أمر المقابلة في أحد أجنحة الفندق في الطابق الأعلى.

شعرت إميلي بالضيق للإلفة التي يتضمنها مثل هذا الترتيب. جناح في فندق؟ هي وداميين مارغيت؟

نظرت كلاريس إلى ساعتها المرصعة بالماس: «لقد تأخر».

فقالت إميلي: «لا، لم يتأخر بل إنه يسير وفق خطة معيّنة».

فرفعت كلاريس حاجبيها: «أنت تعرفينه جيداً؟».

- لا، لكنني أعرف كيف يفكر أمثاله. إنه يتمتع بمقدرة استثنائية، ولن يناسبه أن يأتي إلى هنا مبكراً. سيصل في آخر لحظة وكأنه من سيجري المقابلة وليس نادين بريتون.

- كان عليك أن تكتبي قصصاً بوليسية، يا عزيزتي. أنت ماهرة للغاية في اكتشاف نفسيات الآخرين.

- ليس الكل. ولكن ثمة شيء ما في داميين مارغيت يثير فضولي.

- إنه جذاب. طويل، وأسمر وكثير التأمل.

ألقت إميلي نظرة ملتهبة على كلاريس: «إنه حقير عنيد، ما كنت لأضيّع وقتاً معه إذا عاد لي الخيار».

وفجأة وقفت كلاريس ومدت يداً مصبوغة الأظافر إلى شخص ما خلف إميلي: «أهلاً، يا سيد مارغيت، ما أجمل أن تنضم إلينا».

www.elromancia.com

تمنت إميلي لو تنشق الأرض وتبتلعها، لكن الأرض بقيت صامدة تحتها. على أيّ حال، كانت اليد التي مدتها كارهة لمصافحته، ترتجف وهي تقول: «مرحباً، يا سيد مارغيت».

إبتلعت يده يدها وهزتها بقسوة: «مرحباً، يا آنسة شيروود».

وقالت كلاريس: «ستصل نادين بعد لحظة، لقد جهزت لكما جناحاً».

فارتفع حاجبا دامين وهو ينظر إلى إميلي: «هذا يبشر بالخير».

لكنها رفضت أن تتجاوب مع نظرته الساخرة وفضلت أن تتفحص قائمة الطعام الموجودة على المائدة أمامها.

قال وهو يسحب كرسياً ليجلس بقربها: «رأيتك على الشاشة في البرنامج الصباحي».

فعلّقت: «يدهشني هذا. كنت أظن أن لا وقت لديك لمثل هذه الأمور».

فقال بجفاء: «أحب أن أبقى مطلعاً على آخر التطورات».

- أرجو ألاّ تكون قد أصبت بخيبة أمل.

- على العكس من ذلك. سرني أن تتحدثي عني بمثل هذا الشكل الايجابي.

فقابلت نظراته باتزان: «كان يمكن أن أقول المزيد عنك لكن نسبة المشاهدة العالية منعتني من أن أثير موضوع خلافي معك».

قال وهو يلوي فمه ساخراً: «لم أكن أدرك أن ضميرك حي وإلا لاستغليت الظروف».

حملقت فيه وعيناها تقدحان شرراً وقالت بلهجة مطاطة مهينة: «في أحلامك يا سيد مارغيت».

ضحك وهو يبعد كرسيه ليسمح لنادين التي وصلت، بالمرور، ثم قال قبل أن يتحوّل لتحية القادمين: «سنرى هذا افضل بعد».

صعدوا إلى أحد أجنحة الفندق الفخمة حيث اتخذ عمّال الإضاءة مراكزهم.

قالت نادين: «والآن، إذا جلست الآنسة شيروود هنا، وجلس السيد

مارغيت هنا بجانبي، فيمكننا أن نبدأ. هل أنت جاهز يا جو؟».

أومأ المصوّر وهو يركّز على عمله.

- مساء الخير ومرحباً بكم في برنامج (تأملات مسائية). معكم نادين بريتون من «فندق ريجنت»، ومعي ضيفان غير عاديين. أولاً، بجانبي كاتبة سير تريد أن تكتب سيرة حياة إحدى ألمع ممثلات المسرح في أستراليا، روز مارغيت. كما أن معي هنا ابن أخ الآنسة مارغيت، وهو السيد دامين مارغيت الذي واقف على إجراء هذه المقابلة. أولاً، هل صحيح يا آنسة شيروود، أنك تواجهين حالياً معارضة شديدة من الأسرة التي لا ترغب في تزويدك بالوثائق حول حياة الآنسة مارغيت؟

واجهت إميلي الكاميرا بثبات وقد ارتسم التصميم على ملامحها مذكّرة نفسها بأن كلمة واحدة خطأ ويتمزق عقدها وتنتهي مهنتها، وقالت: «لا، هذا الكلام ليس دقيقاً بالضبط. أحد أفراد الأسرة كان سخياً بوقته معي، وما زودني به كان حاسماً لأبحاثي».

سمعت إميلي شخرته الساخرة لكنها توقعت أن تمحى من التسجيل لاحقاً.

وقالت نادين: «لا بد أنك تتحدّثين عن داني مارغيت، ابن أخ روز الآخر؟».

فأومأت إميلي: «داني مارغيت مولع جداً بعمته ويريد أن يستمتع الناس بسيرة حياة أمينة».

- هل صحيح أنك لم تقابلي الآنسة روز شخصياً بعد؟

- نعم، هذا صحيح.

هزّت نادين بريتون رأسها بحيرة: «ولكن كيف يمكن لشخص أن يوثّق سيرة حياة شخص ما بدقة من دون أن يقابله شخصياً؟».

- سيرة الحياة لا تسجّل حياة الشخص حرفياً. وغالباً ما تكتب سير المشاهير بعد وفاتهم. الكتّاب يستعملون مصادر مختلفة كالصحف والتسجيلات والمقابلات مع الأصدقاء والأسرة.

- لكن أسرة مارغيت لم تتعاون معك، إذا ما استثنينا داني مارغيت. هل هذا صحيح؟

ألقت إميلي نظرة على داميين الذي ما زال جالساً بجانبها، وقالت بطريقة ديبلوماسية: «أنا واثقة من أن لديهم أسبابهم الخاصة».

فاستدارت نادين إلى داميين: «سيد مارغيت، ما هو اعتراضك على كتابة الآنسة شيروود لسيرة حياة عمتك؟».

فقال داميين مواجهاً الكاميرا: «ليس لدي اعتراض على كتابة السير، إنما اعتراضي على كتابة سير عن أشخاص دون موافقة أفراد أسرهم».

فسألته نادين: «أنت إذن تعارض كتابة هذه السيرة منذ البداية؟».

حبست إميلي أنفاسها وهي تنتظر جوابه.

- لقد اختارت عمتي روز أن تعتزل منذ خمسة عشر عاماً. وقد خصصت أكثر من خمسة وثلاثين عاماً من حياتها لجمهورها، بحيث لم تكن تجد سوى القليل من الوقت لنفسها.

- هل صحيح أنك ستتخذ إجراء قانونياً إذا صدر هذا الكتاب؟

جمدت أسارير داميين وقال: «أرجو أن أتجنب أي خطوات قانونية».

ونظر إلى إميلي، فدعت الله ألاّ يكون الناشر، أو أي من مساعديه، أمام التلفزيون الآن يشهدون هذه المقابلة.

واستدارت إليها الكاميرا: «يا آنسة شيروود. هل أنت مستعدة للكفاح من أجل حقك في نشر الكتاب»؟

تقابلت عينا إميلي مع عيني داميين المتحديتين قبل أن تعودا إلى نادين، وقالت: «لقد أمضيت أشهراً في البحث والتحقيق لجمع مواد هذا الكتاب. إن الآلاف من محبي روز مارغيت يتشوقون لقراءة سيرة حياتها، لاسيّما بعد اختفائها. هذا الكتاب سيحوي مجموعة من الصور التذكارية، التي ستشكّل مصدر بهجة للكثيرين».

فقالت نادين تخاطب داميين: «كثيرون يا سيد داميين يوافقون الآنسة شيروود الرأيّ. ما الضرر في صدور كتاب يتغنى بإنجازات إحدى أشهر

ممثلات أستراليا وأحبهم إلى قلب الجمهور؟».

- لو كان الهدف من كتاب «خزانة روز» تسليط الضوء على إنجازات عمتي العديدة، فليس لدي اعتراض. على أيّ حال، الآنسة شيروود معروفة باستغلالها لأولئك الذين تكتب عنهم. أنا لا أعترض على محاولات الآنسة شيروود كي تعيش، لكنني أريدها أن تبحث عن شخص من غير أفراد أسرتي.

هبّت إميلي غاضبة، لكن المصوّر كان قد اتجه بالكاميرا نحو نادين التي قالت موجهة كلامها إلى الجمهور: «يبدو أن على مشاهدي البرنامج أن يقرروا بأنفسهم. هل إميلي شيروود تستغل اسم (مارغيت) لمصلحتها الخاصة؟ أم أنها تقدم للقراء ذكريات موثّقة عن حياة ممثلة أحبوها للغاية؟. دعوني أعرف رأيكم. عندما نعود سأتحدث إلى رئيس عيادة جديدة للطوارىء».

همست إميلي لكلاريس: «هذا الرجل سيحتاج إلى أكثر من عيادة للطوارىء حين أنتهي منه».

فقالت كلاريس تهدئها: «والآن.. يا حلوتي، فكري في زيادة المبيعات بعد هذه المقابلة. هذا هو بالضبط الدعاية التي تحتاجينها».

حدقت إميلي إلى حيث وقف داميين يتحدث مع نادين بريتون. نظر إليها من فوق كتفه وعندما اشتبكت عيونهما بان التحدي في عينيه، فدارت على عقبيها وغادرت الغرفة من دون أن تهتم باستعداد كلاريس للمغادرة. كان عليها أن تخرج هنا بسرعة، قبل أن تفقد تحكمها في أعصابها. لم تشعر بمثل هذا الغضب من قبل. فقد جعلها داميين أثناء المقابلة تبدو كصحفية مراوغة نهمة لايثنيها شيء عن الحصول على قصة رخيصة.

وقفت عند أقرب مصعد وضغطت الزر بعنف.

- آنسة شيروود؟

استدارت بعنف عند سماع هذا الصوت العميق، وقالت: «لا تنادني أيها... أيها النذل».

www.elromancia.com

رفع حاجبيه لعنفها هذا فيما انفتح المصعد خلفها. دخلت إليه وحاولت أن تغلقه كيلا ينضم إليها، ، لكن باب المصعد عاد وانفتح فتراجعت إلى الخلف مسندة ظهرها المتوتر إلى الجدار بينما اللهب يتطاير من عينيها.

قال بهدوء: «أريد أن أتحدث إليك».

- لكنك تحدثت وأمام ثلاثة ملايين شخص!

- بل على انفراد، من دون كاميرات أو مقابلات.

فنظرت إليه بارتياب: «لماذا؟ لكي تعانقني حين تشعر برغبة في ذلك؟».

توتر فمه فشعرت بشيء من النصر وهي ترى تأثيرها في اتزانه.

قال ساخراً: «لم تعترضي كثيراً حينذاك».

لم تجد فرصة لترد عليه إذ انفتح باب المصعد وقادها نحو باب الفندق.

قالت له وهي تجذب ذراعها من يده: «ما الذي تفعله؟ لن أذهب معك!».

اشتدت يده على ذراعها وهو يشير إلى بواب المبنى ليوقف سيارة أجرة.

لم تستطع إميلي أن تنطق بكلمة فيما أصابعه تنغرز في لحم معصمها. ورغم أنها أخذت تجرّ قدميها وهو يجذبها، إلاّ أنّ جسدها بقي يتبعه بشكل لا إرادي.

دفعها إلى داخل سيارة الأجرة التي ما لبثت أن انطلقت لتتوقف أمام منزل لم تستطع لشدة غضبها وضيقها أن تعرف عنوانه.

- هذا اختطاف.

ونقرت على الحاجز الذي يفصلهما عن السائق: «المعذرة! هذا الرجل اختطفني . . . أرجوك أن تأخذني إلى أقرب مخفر للشرطة».

ابتسم السائق وتمتم شيئاً، ثم هزّ رأسه وكأنه لم يفهم. حملقت في هوية السائق على الزجاج الأمامي ثم أخذت تشتم. كان الاسم أجنبياً كلهجته غير المفهومة.

ضربت الأرض بقدمها بغضب وإحباط، ثم انفجرت تقول: «سأرفع عليك دعوى».

فقال ساخراً: «أنت وجيش من؟».

صرفت بأسنانها ثم غرزت أظافرها في ذراعه التي ما زالت تمسك بمعصمها.

- كفى أيتها القطة المتوحشة.

توقفت السيارة عند المنعطف وسرعان ما عرفت إميلي منزل دامين. مال إلى الأمام ليدفع الأجرة فأجفلت عندما احتكت ذراعه بصدرها، وقال وهو يفتح لها الباب: «أخرجي».

أمسك بذراعها ثم دفع بها إلى الرصيف وهو يزفر ساخطاً، من دون أن يهتم لقصر تنورتها أو لجوربيها الحريريين الفاخرين.

- أنظر ماذا فعلت.

وأشارت إلى التنسيل الطويل في جوربها، فأشار هو بدوره إلى الخمش الدامي في ذراعه، وهو يميل رأسه أسود الشعر بسخرية: «مسكين».

لم يكن أمامها سوى أن تدخل معه. قادها بنفسه إلى الباب الأمامي، ولم يترك ذراعها إلا بعد أن انغلق الباب الثقيل خلفهما.

واجهته بتمرد، وصدرها يعلو ويهبط غضباً لمعاملته تلك لها: «إذا وضعت إصبعك علي . . . فأنا أقسم بأن . .».

- اخرسي، فأنا لن أؤذيك.

شبكت ذراعيها فوق صدرها في حركة وقائية وهي تسأل: «لماذا هذا الإختطاف؟ أم أن هذه هي طريقتك في دعوة الفتاة لاحتساء فنجان قهوة في بيتك؟».

ضحك، فأوشكت أن تبتسم لكنها عضت شفتها متحكمة في نفسها. كانت ضحكته حلوة رخيمة عميقة لطّفت من خشونة ملامحه، وجعلته يبدو وسيماً تقريباً.

سألها وهو لا يزال يبتسم: «أتريدين فنجان قهوة؟».

هزّت رأسها نفياً: «أريد أن أذهب إلى بيتي».

- حسناً، أنا سأشرب قهوة. تعالي وتحدثي معي ريثما أعدّها.

www.elromancia.com

تركها واقفة مكانها، لكنها ما لبثت أن تبعته إلى المطبخ مفضلة ذلك على الوقوف محدقة في صورتها الغاضبة في مرآة الردهة الكبيرة.

قال بشكل عفوي: «لو لم تكوني مشغولة حالياً بجمع مواد كتابك عن عمتي، فماذا كنت ستفعلين حالياً؟».

تمنت لو لم تلحق به. لم تشأ أن تتحدث معه عن نفسها. لم تشأ أن تتحدث معه على الإطلاق.

أجابت: «لا شيء».

- هل من مشاكل مالية؟

- ليس إذا تابعت تأليف هذا الكتاب.

ورمقته بنظرة قاسية، متسائلة عما إذا كان قد تحرى عن وضعها المالي.

أنهى إعداد القهوة، ثم استند إلى الخلف ومضى يتفحصها.

- أرجو أن تفهمي أن الأمر ليس شخصياً. لا أريد أن تواجهي أزمة مالية، ولكنني لا أريد أيضاً أن أرى عمتي تستغل لكي تتمكني أنت من دفع نفقات إجازتك القادمة.

فانفجرت غاضبة: «لأمر ليس شخصياً؟ كدت تهجم عليّ! ما هو الشخصي أكثر من ذلك؟».

- إنك، ككل من يزاول عملك هذا، خصبة الخيال.

- وأظن أن خيالي الخصب هو الذي مزّق جوربي ولوى معصمي.

سار إليها وأمسك بذراعها وأدارها بلطف فائق وكأنها قطعة من البورسلين الثمين، ثم تركها هو يقول: «ما من خدوش».

ضمت ذراعها إليها باستياء وهي تقول: «إنها تؤلمني للغاية».

فنظر إلى فمها المزموم نكداً، وقال: «إنك بارعة في التمثيل، وخسارة أن تكوني كاتبة».

ابتعدت كيلا ترى ابتسامته الساخرة، وسارت إلى نافذة المطبخ تنظر منها إلى الخارج.

- كيف تريدين قهوتك؟

- سوداء مع . . .

ثم تذكرت أنها لن تشرب القهوة، فقالت: «لا شيء . . . لا أريد شيئاً».

سكب فنجاني قهوة ثم ناولها أحدهما: «السكر على ذلك الرف الذي خلفك، وملاعق الشاي في الدرج الذي أمامك».

تنشقت إميلي عبير القهوة الطازجة وتمنت لو لم تكن بهذا العناد. لقد استيقظت في الرابعة صباحاً.

اتكأ داميين وأخذ يرشف قهوته وعيناه لا تتركان وجهها، ثم قال: «لدي كاكاو إذا كنت تفضلينه».

- ما أفضله هو أن تكون صريحاً معي. أنت لم تحضرني إلى هنا لأشرب القهوة أو غيرها.

- القهوة هي منحة إضافية.

أدارت حدقتيها بشكل معبر: «فلنترك التمثيل ونصل إلى لب الموضوع. ماذا تريد مني؟».

نهض عن الأريكة واقترب منها، وضع فنجانه بجانب فنجانها الذي لم تلمسه ثم تقابلت أعينهما. تنفست بعمق بينما قال هو بصوت بالغ العمق والخطورة: «أخبرتك، ذلك اليوم، بما أريده».

أخفضت نظراتها، ثم عادت إلى عينيه، وهي تبتلع ريقها: «لا . . . لا أستطيع أن أفعل ذلك . . . لا أستطيع وحسب».

- لا تستطيعين أم لا تريدين؟

بللت شفتيها الجافتين، وقالت لتكسب الوقت: «أرجوك . . . أريد أن أؤلف هذا الكتاب وأنا بحاجة إلى أن أبيعه. أنت تعمل في عالم المال ما يجعلك تفهم ما يعنيه هذا. لا أستطيع أن أعيش من دونه. لدي التزامات، ورهن . . .».

- الغي مشروع الكتاب وأنا أتولى أمر التزاماتك.

فحملقت فيه: «ماذا؟».

www.elromancia.com

- لقد سمعتني . الغيه فأسدد ديونك كلها .

- لا يمكن أن تكون جاداً . . . لا بد أن هناك خدعة ما .

ونظرت إليه غير مصدقة، فقال ببساطة : «ثمة خدمة فعلاً» .

- وما هي؟

سكت، فيما حبست هي أنفاسها وقد أدركت بالغريزة أن ما سيقوله لن يعجبها . وكانت على حق إذ قال : «أريد أن أتزوجك» .

فتحت فمها وكادت عيناها تقفزان من محجريهما . وعندما استطاعت النطق، سألته : «هل هذا نوع من المزاح؟»

فرفع كتفه : «هذا ليس مزاحاً . أنا جاد» .

حدقت فيه بذعر : «هل ستفعل هذا فقط لتمنعني من تأليف الكتاب؟» .

- إما أن تقبلي وإما أن ترفضي . لدي من الوسائل ما يكفي لمنعك من أن تكتبي كلمة أخرى .

- لا أستطيع أن أصدق أنك ستصل إلى هذا الحد . . .

فقال : «سيكون هذا زواجاً صورياً فقط . أنا أعني ذلك . أجد نفسي في وضع لا أحسد عليه وهو الحاجة إلى زوجة على الورق . ثمة ضرائب وما أشبه، كما تعلمين» .

- أسمع عن نساء آسيويات يتلهفن للحصول على جواز سفر أسترالي .

- لكني رأيت أنك أنت صالحة لذلك .

- هذا يملأني غروراً . . . والآن أخبرني، ما الذي جعلني أفوز بك؟ مظهري؟ أم طريقتي في الكلام؟

قهقه بصوت خافت وهو يتناول فنجان القهوة : «أرى أنك تضيعين وقتك في العمل، وتستحقين أن تتألقي في المجتمع» .

- يسرني أن تجد هذا مسلياً، لأنني لا أفعل ذلك . ماذا سأقول لوكيلتي، للناشر؟

- أظن أنّ عليك أن تخبريهما أنك ستتزوجين، ولهذا ستضطرين للتوقف عن تأليف الكتاب لأشهر عدة .

- أشهر؟

- أو أسابيع . من يعلم؟ وإذا كان سلوكك معي لائقاً، فقد أرتب لقاء بينك وبين روز شخصياً .

حدقت إميلي فيه وقلبها يخفق : «ستسمح بذلك؟»

هزّ كتفيه : «فلننتظر ونرى، سأقرر بعد الزواج» .

- وهكذا ستكون الرابح في الحالتين؟

- هذا يعود إلى نظرتك إلى الأمر . أنت في وضع سيسمح لك بتحقيق أكبر سبق صحفي في مهنتك مقابل موافقتك على أن تكوني زوجتي .

- أظنك على حق في أن المسألة تعود إلى نظرتك إلى الأمور .

وتناولت فنجان قهوتها الذي أصبح الآن بارداً .

www.elromancia.com

٥ - عصفوران بحجر واحد

أخذ داميين يتأمل تعاقب المشاعر على وجه إميلي أثناء تناولها قهوتها. وعندما وضعت فنجانها، قال: «ثمة قضايا ينبغي مناقشتها إذا قررت أن تقبلي عرضي».

سألته بارتياب: «أي نوع من القضايا»؟

- هذا زواج مصلحة تحديداً. ثمة مصلحة من ورائه لكلا الطرفين.

فقالت بلهجة لاذعة: «أحقاً؟ هل علي أن أخمّن من سيكون الفائز في هذه المغامرة؟».

- أعرف أنك تظنين أنك من سيدفع الثمن في النهاية. لكن في الحقيقة، ستخسرين فرصة عمرك إذا رفضت.

ألقت عليه نظرة أخرى ساخرة وهي تسير نحو باب الخروج: «لا بد أنك تعتبرني حمقاء إذا ظننت للحظة أنني سأقبل عرض الزواج هذا».

وأمسكت بمقبض الباب لكن وقبل أن تديره كانت يد داميين الضخمة قد غطت يدها. أدارها بسهولة لتواجهه وهو يقول بتلك النبرة الناعمة التي ترسل رعشة في جسدها: «فكّري في الأمر، يا إميلي. لن تقلقي بسبب المال، أو مواعيد تسليم ما تكتبينه. ستتمكنين من أن تجلسي وترتاحي، وتفعلي ما تشائين، وتكتبي ما تريدين كتابته من دون ضغط الآخرين عليك».

فقالت وهي تحاول الابتعاد عن حرارة جسده: «وما هي مصلحتك في هذا بالضبط؟».

لم يجب على الفور بل أخذت عيناه تتأملان وجهها لحظة طويلة قبل أن تهبطا إلى جسمها، ثم تعودا إلى عينيها الثائرتين وقد ظهر فيهما بريق غامض:

«سأتمتع بصحبتك الجميلة. ماذا يريد الرجل غير ذلك؟».

لم يكن لاستيائها من لهجته الساخرة حد. نظرت إليه ثائرة ثم حاولت أن تسحب يدها من يده لكنه أمسك بها بشدة، فقالت له: «لن أعاشرك معاشرة الأزواج».

ابتسم ساخراً: «إذن ستقبلين ما عرضته عليك؟».

- كلا بالطبع.

وسحبت يدها من يده، فضحك وفتح لها الباب قائلاً: «هيا. سآخذك إلى بيتك. ستتحدث في هذا الأمر بعد أيام».

تبعته إميلي إلى المرآب حيث رأت سيارتين رياضيتين فخمتين. زمت شفتيها وهي تصعد إلى سيارة «اللامبورغيني» التي فتحها لها، وهي تقول: «مما يقزز النفس أن يملك الشخص أكثر من سيارة. لا يمكنك أن تقود أكثر من سيارة، فما الداعي لذلك سوى التباهي بثرائك؟».

جلس داميين خلف المقود وانطلق بالسيارة قبل أن ينظر إليها، قائلاً: «أخبريني يا إميلي. كم زوج من الأحذية لديك؟».

نظرت إليه بحيرة: «أحذية؟».

- سأوضح سؤالي. كم زوج من الأقدام لديك؟

- واحد، ولكن هذا مختلف تماماً. فأنا بحاجة لحذاء لكل مناسبة. أما السيارة فهي سيارة، تنقلك من مكان إلى آخر وهذا الهدف منها.

- أنا أستعمل السيارتين كما تستعملين أحذيتك، تبعاً لمزاجي.

- وما هو مزاجك الآن، في يوم «اللامبورغيني» هذا؟.

واستدارت تنظر إليه فتلاقت نظراتهما. قال: «عليك أن تضعي حزام الأمان، يا إميلي. فأنا أقود بسرعة».

تنفست بعمق ووضعت الحزام. ورغم أن قيادته سريعة وماهرة، إلا أنها أدركت أنه لم يكن يتحدث عن السيارة.

لم تعرف إميلي إن كان عليها أن ترتاح أم تستاء حين مرّ أسبوع من دون أن تسمع خبراً من داميين مارغيت.

www.elromancia.com

كانت أياماً قليلة لكن طويلة، لاسيّما عندما أخبرها صاحب المطعم حيث تعمل أنه مضطر للاستغناء عن خدماتها.

واتصل المصرف مرتين بشأن شقتها الصغيرة. لم تشعر قط من قبل بالحاجة إلى إنهاء كتابها كما تشعر الآن لولا طيف داميين مارغيت الذي حام فوقها وأعاق مساعيها.

وجدت نفسها تفكر فيه أكثر مما ترغب. وحدثت نفسها بأن السبب يعود للملها من عدم الكتابة. لكنها أدركت في أعماقها أنّ شيئاً ما فيه يثير اهتمامها. ظاهرياً، بدا رجلاً هادئاً منعزلاً يعرف كيف يواجه أي وضع.

أما ما لم تستطع أن تفهمه فهو مصلحته في هذا الزواج. هل يظن أن بإمكانه أن يمنعها من أن تكتب عن أسرته بجعلها فرداً منها؟ لكن فترة انضمامها إلى أسرته ستكون من القصر بحيث تكاد لا تكفيها لاكتشاف النواحي الغامضة من حياة روز. فهي تريد أن تعزز معلوماتها الخاصة ما يضمن نجاح الكتاب.

وجدت عرضه جذاباً نظراً لوضعها المشوش. إنه ليس فتى عابثاً كأخيه، وبدأت ترى أن ذلك قد يكون أمراً حسناً. فداني مستعد لبيع أسرار الأسرة كلها لقاء مواعيد غرامية بسيطة عدة، وذكر اسمه في الكتاب، بينما أبدى داميين استعداداً ليتزوجها لكي يمنعها من كشف أسرار أسرته.

كيف يمكن أن يكون الأخوان مختلفين إلى هذا الحد؟ ما هي الأسباب التي تجعلهما يتصرفان بطرق مختلفة؟

دق جرس الباب فقفزت من مكانها وفتحت الباب لتجد شاغل أفكارها مجسداً أمامها. وقفت مضطربة للحظات وقد تملكها شعور هو خليط من الخوف والإثارة. شعرت وكأنها على حافة هاوية ستسقط فيها مع أول خطوة تخطوها.

- هل ستبقين واقفة تحملقين فيّ هكذا أم ستدعينني للدخول؟

فتحت له الباب على اتساعه ثم قالت كاذبة لتعلل اضطرابها: «كنت ... كنت أتوقع شخصاً آخر».

- أهو داني؟

- كلا.

- هل وجدت بديلاً له؟

- هذا ليس من شأنك.

- اعلمي أني أكره أن تتخذ زوجتي عشيقاً.

- لا تكن واثقاً هكذا، فأنا لم أقل إنني سأتزوجك.

نظر إليها بحدة: «الإفلاس أمر بالغ الخطورة، ويمكن أن يترتب عليه نتائج غير مباشرة».

فقالت: «الزواج أيضاً».

فقال: «لكن التعويض مناسب تماماً».

كان هذا ما ترجوه إميلي. إذا تزوجته فستتعرف إلى عمته. إقامته علاقة معها ستمنحها فرصة مثالية للتأكد من قصة حياتها. قد تحبها روز مارغيت وتثق بها إلى حد يجعلها توافق على تدعيم السيرة بنفسها من دون أن يتمكّن داميين من منعها. كان الأمر يستحق التجربة، كما أنه أكد لها أن الزواج سيبقى على الورق فقط. في الواقع، ليس لديها ما تخسره.

تنفست بعمق ورفعت وجهها لتقابل نظراته النفاذة.

- لا أدري لماذا تحرص على أن ترتبط بامرأة تكرهك إلى هذا الحد.

لمعت عيناه: «أخبرتك من قبل أنني أحب الحرب».

- ألا تخشى من أن آخذ النقود وأهرب؟

- جربي ذلك، وانظري كم ستبتعدين قبل أن أقبض عليك.

عاد قلب إميلي يخفق ثم قالت بشيء من الوقاحة لتخفي توتر أعصابها: «هل سأحصل على ماسة بحجم الشمامة؟ كما أنني لا أحب الذهب، بل أفضّل الفضة».

- سأحضر وثيقة الزواج غداً.

- وثيقة زواج؟

رفع حاجبه: «لا أراك تظنين أنني أدخل في اتفاق بجدية الزواج بدون

www.elromancia.com

وثيقة ضمان. أنا مستعد لدفع كل ديونك كلها. لكنني لن أرضى بأن أراك تسليبني كل شيء بعد أن ينتهي الأمر».

- هذا لا يشكل فرقاً بالنسبة إليّ. لكنني أتساءل عن مصلحتك في كل هذا.

- لقد أخبرتك من قبل أني بحاجة إلى زوجة على الورق، زوجة غير عاملة تخفف من الضرائب. كما سأتمكن نوعاً ما من السيطرة على ما تكتبينه عن أسرتي.

- هل أفهم من هذا أنّ كل ما أكتبه يجب أن يخضع لمراقبتك بعد الزواج؟

- هذا هو الاتفاق بيننا.

- لا أرى هذا مفيداً لي.

- أحقاً؟

- لا. لم أتعود أنّ تخضع أعمالي الأدبية للمراقبة.

- ألا يراقب رئيس التحرير أعمالك؟ هل هذا هو سبب فشل كتابك الثاني؟

كانت تكره أن يذكرها أحد بذلك الفشل. كانت تشعر به كخنجر غرز في قلبها، وكرهته لأنه أتى على ذكر هذا الأمر فيما هي في أمسّ الحاجة إلى الشعور بالثقة بالنفس. عضت شفتها وحاولت أن تفكر في جواب لاذع فلم تجد. ولا بد أنه أحس باستيائها فغير الموضوع: «وكيلي سيتصل بك. ما الذي تفضلينه؟ زواج في الكنيسة أم في مكتب زواج؟».

هزّت كتفيها، مرغمة نفسها على تناسي حلمها الشاعري بالزواج على شاطىء تغمره أشعة الشمس، وقالت: «لا يهمني أيهما تختار».

- سأخبرك بالتفصيل خلال أيام. ترتيب الأمور سيستغرق مني بعض الوقت.

- خذ الوقت الذي تريده فأنا لست مستعجلة.

أغاظتها ضحكته الساخرة. فأضافت قبل أن يسخر منها مرة أخرى: «أصرّ على أن يكون لي غرفة خاصة بحمام... فأنا لا أحب المشاركة».

- وأنا أيضاً لا أحب المشاركة. وأنا لا أتحدث عن الحمام فقط. لهذا، إذا كنت تفكرين في استضافة أصدقاء من الرجال، فانسي ذلك.

- هل يفترض أنا أعيش كالناسكة؟

فقال بهدوء: «لا، لكني أطالبك بالإخلاص».

- وماذا عنك؟ هل ستقسم على الوفاء أيضاً؟ لا أدري كيف ستفسر الوضع لتلك التي لا أعرف اسمها.

التهبت عيناه فتراجعت حتى التصقت بالجدار، فيما تقدم هو منها ووضع يديه على جانبي رأسها فابتلعت ريقها، محاولة ألاّ تستسلم للخوف الذي أخذ يخفق في صدرها.

- سأتصل بك.

وخرج من دون أن يلتفت إلى الخلف.

كبحت إميلي رغبتها في أن تنظر من النافذة لتراه وهو يبتعد بالسيارة. لكن عندما سمعت هدير سيارته أذعنت لرغبتها تلك، مقنعة نفسها بأنها تريد أن ترى وحسب أي السيارتين اختارها مزاجه اليوم. أزاحت الستارة قليلاً، فرأت يده تلوّح لها من نافذة سيارة «الجاكوار» السوداء. أعادت الستارة إلى موضعها بسرعة، شاعرة وكأن قطاً يترصدها، ليغتنم الفرصة المواتية ويهلكها.

بعد ثلاثة أيام غادرت إميلي مكتب المحامي مع داميين، بعد أن وقّعت العقد. وقّعت باسمها فشعرت وكأنها تنازلت عن حياتها... حياتها الأدبية على الأقل. ورغم أنها قرأت الكلمات بعناية بالغة، إلا أنها لم تعن لها سوى القليل القليل. كان اهتمامها منصباً على اليد السمراء التي وضعها على المكتب بجانب يدها، وعلى أصابعه الطويلة قرب أصابعها.

وغامت الكلمات أمام عينيها فسارعت تضع إمضاءها، آملة ألا يكون قد لاحظ مدى تأثرها.

حان يوم الزفاف بسرعة لكن أعصابها لم تهدأ. نظرت إلى الأزهار في يدها وتساءلت إن كانت بشير خير. أما شعرها المرفوع فوق رأسها فتساقط

www.elromancia.com

بفعل الرطوبة في خصل شعواء، فيما التصق ثوبها بظهرها ما جعلها تشعر بضيق بالغ.

تساءلت في سرّها عن سبب شعورها بالخيبة... في حين أن هذا الزواج ليس زواجاً حقيقياً. لقد عرض عليها داميين أمراً لا يمكن رفضه وهي ما زالت تشعر بالغثيان كلما فكرت في ديونها التي سيسدّدها، لكنها طمأنت نفسها إلى أنه يعرف تماماً ماذا يفعل. إنه زواج صوري، ولم تستطع أن تمنع ابتسامة ساخرة في داخلها. ما معنى هذا؟ لقد تقبّلت كلاريس الخبر ببساطة، واعتبرته مجرد دعاية وشجعت إميلي على استغلال هذا الأمر قدر إمكانها. ولم تكن إميلي قد أطلعتها على الشروط إذ لم تشأ أن تواجه ثورتها حين تعلم بنيتها في تأجيل الكتاب. كما يناسبها أن تبقى دوافعها طي الكتمان، فما من شيء واضح في ذهنها، فكيف توضحه للآخرين؟ وبقيت تحدث نفسها بأن كل هذا حدث بسبب وضعها المالي وبسبب رغبتها في لقاء روز.

لم يكن لهذا صلة بالرغبة التي تشعر بها كلما اقترب منها. وأخذت تحدث نفسها بجزم بأنها تكرهه... تكرهه.

ومع ذلك، ها هي ذي الآن تقف بجانبه وكأنه مشهد زواج في فيلم هابط، فنطقت بعهودها وكأنها تعنيها حقاً. أصغت إلى صوت داميين الواقف بجانبها وفي يده «محبس» فضي ليضعه في إصبعها.

كان «المحبس» ملائماً، فتساءلت إميلي عما إذا كان هذا يبشّر بحسن الحظ. لم يقبلّها داميين بل اكتفى بوضع الخاتم في إصبعها ثم قادها ماراً بمجموعة من أصدقائه جاءوا ليشهدوا على الزواج.

ومن سخرية القدر أن داني كان أول من عانقها وليس داميين.

قال لها وهو يحتضنها بشكل مبالغ فيه: «تهانيّ... يا إميلي! أنا واثق من أنكما، ستكونان سعيدان جداً».

لا بد أنها ردّت عليه، لكنها لم تستطع أن تتذكر لاحقاً ما قالته. وسارت كلاريس بجانبها وهي تقول بصوت خافت: «عزيزتي، يا لك من فتاة ماهرة!

لقد أصبحت من أسرة روز مارغيت! فكري في الثروة والشهرة اللتين ستبعان هذا».

منحتها إميلي شبه ابتسامة وقالت بوقاحة: «سأخبرك حالما أحصل على أول مقابلة».

ومن سوء الحظ أن داميين اختار تلك اللحظة ليقترب من عروسه، فتوهج وجهها ندماً على كلماتها الطائشة، وهي ترى الغضب المكتوم في وجهه. معنفاً: «أتسخرين، يا حبيبتي؟».

فردت عليه بحدة: «بل أنا مغتبطة، أنتظر شهر العسل بفارغ الصبر».

ألقى عليها نظرة كالثلج ثم تحوّل ليتحدث إلى أحد زملائه.

كانت الأمسيّة طويلة مملة حيث تلهفت إلى حمام دافىء وكوب من الشاي. لكن لم يبد على أحد الرغبة في ترك العروسين وشأنهما.

وهكذا اضطرت إلى الاستمرار في لعب دور العروس السعيدة الخجول.

وأخيراً، خرج آخر ضيف، وأعادت الليموزين العروسين إلى بيته حيث فتح الباب لها وانتظر دخولها. ترددت ثم قالت تستفزّه: «ألن تحملني فوق العتبة؟».

فقال وهو يمرّ بجانبها: «أنا واثق من أن ساقيك في أحسن حال. أمتعتك في الغرفة الخضراء».

وألقى بسترته الرسمية فوق مشجب الردهة قبل أن يضيف: «تصبحين على خير».

فأجابت وهي تعض شفتها: «تصبح على خير».

لكنه كان قد ابتعد فلم يسمع صوتها الناعم. وانتظرت من دون حركة حتى سمعت صوت باب غرفته ينصفق خلفه.

صعدت إلى الطابق العلوي وبحثت حتى وجدت الغرفة الخضراء لها.

استحمّت ثم تكوّرت في السرير وأخذت تحدّق إلى السقف بعينين لا تريان. وأغمضت عينيها على صور حفلة الزفاف. ما أبعد هذا عن أحلامها! الزوج الساخر الذي تزوجها لكي يمنعها من تأليف كتاب عن

www.elromancia.com

عمته. أي سبب للزواج هو هذا؟

وانتصبت جالسة في السرير. لعل شكوكها صحيحة. لعل روز ليست عمته... بل قرابتها به أكثر عمقاً وحميمية. وماذا غير ذلك يجعله يقدم على مثل هذا التصرف؟ ما لم تستطع أن تكتشفه من قبل، سيصبح، بعد زواجها، بالغ السهولة.

تزوجت داميين. هذه الكلمات وحدها جعلتها تشعر بشوق إليه. لم تكن خائفة منه... لكنه جعلها تشعر بالضيق والغضب أيضاً. لقد لاحظت كم يمكنه أن يكون رقيقاً أحياناً. واليوم، وفي حفل الزفاف، حمل بين ذراعيه إبنة صديقه ذات الخمسة عشر شهراً وأخذ يدللها، ويضحك بتلك النبرة العميقة ما جعل قلب إميلي يخفق، متسائلاً عما إذا...

ضربت الوسادة بقبضتها فطارت لتصطدم بالمصباح بجانب السرير فسقط متحطماً. مدت يدها تريد إعادته إلى مكانه، فجرحت يدها وتدفق الدم منها.

- ما الذي حدث بحق جهنم؟

كان هذا صوت داميين الذي وقف في الباب في ملابس نومه.

ضاقت عينا إميلي من الضوء المفاجيء، وأمسكت بيدها الدامية: «لقد جرحت يدي».

فقالت من بين أسنانها المطبقة: «حاولت الانتحار ففشلت».

داس على أجزاء المصباح المهمشة أثناء تقدمه نحوها قائلاً: «هذا ليس مزاحاً، أريني يدك».

مدّت يدها وأوشكت أن تبكي من حنان لمسته وهو يتفحص الجرح.

-لا حاجة للقطب، يكفي أن نضمده. تعالي إلى الحمام لأضمده لك.

وعندما لم تتحرك، تردد وتفرّس فيها: قائلاً «إميلي؟ هيا بنا فالجرح ليس خطيراً إلى هذا الحد. ضماد واحد سيشفيه».

أفلتت شهقة خافتة من بين شفتيها، ورأى كتفيها ترتجفان فلمسها برقة وسألها: «إميلي... هل أنت بخير؟».

راحت تبكي بشكل جدي فانحنى وأمسك بذقنها يرفع وجهها إليه. كانت عيناها الزرقاوان مغروقتين بالدموع فضاق صدره لمرأى ذلك، وقال: «ربما علي أن آخذك إلى المستشفى. قد يكون هناك عصب متضرر أو ما أشبه».

دفعته إميلي عنها بيدها السليمة وتوجهت إلى الحمام متعثرة: «الجرح ليس بحاجة إلى قطب! وأنا لا أبكي بسبب إصبعي!».

- لماذا تبكين إذن؟

وتبعها إلى الحمام، متجنباً السير على قطرات الدم التي خلفتها في أثرها.

فقالت وهي تفتح الصنبور: «أنا لا أبكي».

ناولها منشفة للوجه: «لا تقلقي لتحطم المصباح... إنه مصباح عادي».

- أنا لا أبكي بسبب المصباح اللعين.

وأخذت تنشج في المنشفة وقد تكورت يدها المجروحة داخل منشفة أخرى فبدت كقفاز ملاكم.

هزّ داميين رأسه واحتضنها بين ذراعيه وأخذ يربّت على ظهرها، وسألها: «هل تؤلمك يدك؟».

هزّت رأسها الذي أسندته إلى صدره.

- هل يمكنني أن ألقي على الجرح نظرة أخرى للتأكد من أنه غير خطير؟

أومأت فأزاح المنشفة عن الجرح وعاد يتفحصه مرة أخرى. بعدئذ، فتح خزانة الأدوية وسحب ضماداً لفه حول إصبعها، ثم قال بابتسامة مشجعة: «هذا يكفي. سيوقف النزف».

شهقت باكية فمد يده وسحب منديلاً ورقياً ناولها إياه: «هل تحسنت الآن؟».

مسحت عينيها وهي تومىء برأسها قائلة: «آسفة. الأعراس تفعل بي هذا دوماً».

التوت شفتاه بابتسامة تسلية: «إميلي شيروود... أنت فتاة غريبة،

www.elromancia.com

أتعلمين هذا؟».

نظرت إليه بعينيها المغرورقتين بالدموع: «ألم يصبح اسمي الآن مارغيت؟».

ثم عادت تنفجر بالبكاء.

غيّر الملاءات على سريرها، وعندما انتهى، خرج من الغرفة بكل أدب. وكانت جالسة في السرير مستندة إلى الوسائد عندما عاد حاملاً كوب حليب على صينية. قال وهو يضع الصينية على المنضدة الجانبية: «تبدين وكأنك في العاشرة من عمرك».

فأجابت: «لكنني أشعر وكأن عمري مئة سنة».

جلس على حافة السرير وناولها كوب الحليب: «السادسة والعشرين هو سن صغير بالنسبة لمؤلفة كتب متمرسة».

- أنا لست مؤلفة متمرسة. كتاب فاشل وانتهى كل شيء.

- ربما عليك أن تختاري مواضيعك بعناية أكبر.

- هذا ما أنويه.

- متى ستؤلفين كتابك التالي؟ سيرة أخرى؟

ترددت قليلاً قبل أن تقول: «أفكر في كتابة نصوص مسرحية للأوبرا. سمعت أن مردودها جيد، كما أنني سأصبح أقل عرضة للدعاوى القضائية».

سألها: «هل لهذا تزوجتني؟ لكي تتجنبي الدعوى القضائية؟».

أقلقها سؤاله، فسبب موافقتها على الزواج منه ما زال غير واضح.

قالت: «الحصول على الطلاق يماثل رفع الدعوى. تكاليف كبيرة ومرارة عظيمة».

أخذ من يدها الكوب الفارغ يعيده إلى الصينية.

- لهجتك لاذعة للغاية. هل كان طلاق أبويك قاسياً؟

- وهل من صفة أخرى للطلاق؟

هزّ كتفيه: «لعلك على صواب. إذا ما أنهينا هذا الزواج فلنرجو أن نقوم

بذلك باحترام وكرامة».

- ماذا تعني بقولك (إذا)؟ ألا تعني (عندما)؟

نظر إليها طويلاً قبل أن يحمل الصينية ويقول: «هذا الزواج سينتهي (إذا) و(عندما) أقرر ذلك».

- أليس لي رأي في ذلك؟

- هذا يعتمد...

- يعتمد على ماذا؟

- سأدعك تعلمين.

- أي نوع من الأجوبة هو هذا؟

واستقامت في جلستها، لتجفل حين اصطدمت يدها المصابة بحافة المنضدة التي يعلوها المصباح.

- إنه كل الجواب الذي ستحصلين عليه حالياً، لهذا كوني بنتاً طيبة واخلدي للنوم.

فقالت ثائرة: «كف عن معاملتي وكأنني بنت صغيرة. أنا لست ابنتك، بحق الله، إنني زوجتك».

أعاد الصينية إلى الطاولة واقترب من السرير وعيناه البنيتان تلمعان. اتسعت عيناها بحذر عندما انحنى فوقها ثم وضع يديه إلى جانبيها فيما سألها برقة بالغة: «هل هذا سبب غضبك، يا حبيبتي؟».

فقالت بصوت متحشرج: «أنا... أنا لست حبيبتك».

فقال: «لا. أنت لست حبيبتي».

انفطر قلبها ألماً لما سمعت بينما تابع هو: «لكنك زوجتي».

- أنا... أنا لست زوجتك فعلياً، أنا زوجتك صورياً... هل نسيت؟

حامت عيناه على وجهها، ثم قال هامساً: «أنت زوجة صورية جميلة جداً ومغرية للغاية».

- أرجوك...

وتراجعت تندس في الوسائد خلفها وقد تملكها الرعب فجأة من أن

www.elromancia.com

يكتشف مشاعرها.

-هل من غير المسموح للزوجة الصورية أن تقبّل زوجها قبلة المساء؟.

- أنا . . .

- تصبحين على خير، يا إميلي.

قال هذا قبل أن يبتعد عنها يحمل الصينية، ثم خرج وأغلق باب الغرفة خلفه.

٦ - قلب خائن

أمضت إميلي ليلة قلقة حيث راحت تتقلب من جانب إلى آخر، محاولة أن تجد وضعية مريحة ليدها ومتنفساً لعقلها المعذب، لكن من دون جدوى. وأخذت تنظر إلى الشمس وهي تشرق متحدية وكأنها تغيظها، فيما حرارتها تزيد سوءاً من حالتها التي حرمتها النوم.

عندما نزلت إلى الطابق السفلي، وجدت داميين في المطبخ. بدا وسيماً منتعشاً بشكل أغاظها، وقد ارتدى بذلة عمل سوداء وقميصاً أزرق وربطة عنق رائعة.

- صباح الخير. هل نمت جيداً؟

فردّت بحدة وضيق: «لا. لم أنم جيداً».

فنظر إلى يدها: «هل أزعجتك يدك؟».

- قليلاً.

فقال وهو يسكب الحليب في إبريق: «هل أنت من أنصار الفطور؟».

- ماذا؟

- هل تتناولين الفطور؟ أم أنك من الذين يقللون من شأن أهم وجبة في النهار؟

رأت أمامه طبقاً يحتوي على عصيدة، فقالت وهي تجرّ كرسياً لتجلس: «أريد من هذا الذي تأكله».

شكرته عندما دفع الطبق والملعقة نحوها. قال وهو يشير إلى الصحيفة: «شغلنا الصفحات الاجتماعية».

لم تكن واثقة من رغبتها في معرفة رأي الصحافة في زواجهما غير

www.elromancia.com

المتوقع، ومع ذلك سارت إليه ونظرت إلى الصحيفة من فوق كتفه.

- أبدو سمينة في الصورة.

فضحك: «تبدين رائعة الجمال».

عادت إلى مكانها وأخذت تعبث بعصيدتها.. وتطارد حبة مشمش في طبقها.

سألها: «ماذا حدث؟ لا أظنك ندمت».

- ماذا؟ لا. إنني أفكر فقط.

- تفكرين في ماذا؟

نظرت إليه: «لماذا لم تأت عمتك روز إلى عرسك؟».

تفحصها بنظرات صارمة: «كنت أتساءل متى ستبدئين».

شعرت بالتوتر للتهكم في صوته بينما تابع هو: «أما أنا فقد خطر لي أنك ستنتظرين أياماً على الأقل أو ربما أسبوعاً أو اثنين قبل أن تبدئي تحركاتك».

نظرت إليه بجمود: «ما الذي تتحدث عنه؟ أي تحرّكات؟».

نهض واقفاً وأبعد طبقه بغضب: «إنها السبب الذي جعلك توافقين على الزواج مني، أليس كذلك؟ أعني السبب الحقيقي».

ابتلعت غصة في حلقها وحدقت إليه بصمت.

- لقاء روز هو الحلوى التي تعلو كعكة الزفاف. أليس كذلك؟

- أنا...

- لا تزعجي نفسك بإنكار ذلك... فهذا مكتوب على ملامحك. على أيّ حال، سمعتك تتحدثين مع وكيلتك.

- لكنني كنت أمزح فقط.

- سبق وأخبرتك أن روز هي التي تقرر ما إذا كانت تريد مقابلة أحد، بما في ذلك أنت. وزواجك مني لا يمنحك حكماً امتيازاً خاصاً.

-كرر ما قلته مرة أخرى.

جذب ذراعها غير المصابة وأدارها لتواجهه: «هل أنت غير سعيدة بترتيبنا هذا؟ إذا كنت كذلك، فيمكنني أن أعيد رهن شقتك وديونك أيضاً.

كما قد أرفع دعوى عليك وأمنعك من كتابة أيّ كلمة».

الكراهية في عينيه ملأت نفسها قنوطاً، فقالت بمرارة: «أنا أكرهك».

- الكراهية جيدة ويمكنني مواجهتها. إكرهيني قدر ما تشائين وانظري إن كان هذا يهمني.

جذبت يدها من يده بيأس، تريد أن تهرب منه قبل أن يتحوّل غضبها إلى حزن: «دعني أذهب. إنك تؤلمني».

فقال محذراً: «لا تتلاعبي بحظك، يا إميلي. إنا مستعد لأن أكون منطقياً، لا تدعيني أندم على قراري بأن أساعدك».

فقالت ثائرة: «تساعدني؟ أتراني أضعت شيئاً هنا؟ أنت تزوجتني لكي تساعدني! ما أشد سروري لمعرفة ذلك أخيراً».

-التهكم لا يناسبك.

فقالت بعنف: «ولا الزواج».

- أؤكد لك أن أياً منهما لن يسبب الإفلاس، فدعينا نجرب أولاً.

فردت بحدة: «أفضل الموت جوعاً على أن أمكث معك يوماً آخر».

- أنت تتصرفين كالأطفال، فحاولي أن تنضجي.

وفاق هذا قدرتها على التّحمل. فقلة النوم، وعرسها المخيّب للأمل، ويدها المصابة... كل هذه الأمور اجتمعت وقضت على تحكمها بمشاعرها فأحنت رأسها وانفجرت بالبكاء. تأوه وقال وهو يأخذها بين ذراعيه: «إميلي. آسف فقد كنت قاسياً ومتوحشاً معك. هيا، لا نريد مزيداً من الدموع. ليتك ضربتني بدلاً من هذا».

ازداد بكاؤها فاشتدت ذراعاه حولها وأحنى رأسه على شعرها المعطر وتركها تبكي وقد اندس جسدها الناعم بجسده وكأنما فُصّل لهذا الغرض. وحاول أن يكبح المشاعر التي تصاعدت في داخله وأخذت تسري في عروقه.

رفعت إميلي وجهها تتنشق الهواء، فبدا أنفها ورديّاً لامعاً فيما الدمع ما زال يسيل من عينيها. ثم قالت: «آسفة. عدم النوم يتعبني».

- أنا من يفترض به أن يعتذر. فلنعقد هدنة ونرى إن كان باستطاعتنا أن

www.elromancia.com

نكمل النهار من دون خصام.

أومأت إميلي وهي تمسح عينيها بكمها، فناولها منديل: «خذي».

مسحت عينيها بالمنديل ثم أعادته إليه وهي تقول: «أشعر أنني حمقاء. أنا لا أبكي عادة».

- آسف لتأثيري هذا فيك.

رفعت بصرها إليه، ثم أدركت فجأة أن ذراعيه ما زالتا تطوقانها. قال وعيناه تتوهجان: «إميلي. هذه ليست فكرة حسنة».

- أي فكرة تعني؟

هل هذا صوتها؟ هذا الهمس اللاهث؟

واحتك جسده بجسدها فشهقت، وقالت بصوت متهدج: «آه... أهذا ما تعنيه؟»

ساد صمت قصير للغاية فرفعت بصرها إليه. وانحبست أنفاسها وهي ترى عينيه الملتهبتين. وفجأة أحنى رأسه ببطء، وشدّها إليه أكثر. فتقوّس جسدها ووهنت ساقاها متجاوبة معه تجاوباً مطلقاً.

ازدادت التصاقاً به حتى قال: «هذا جنون».

لكنها لم تتراجع، بل بادلته العناق حتى وصلا إلى ما لا مناص منه. لم يعد ثمة مجال للتراجع بعد أن اشتعلت الرغبة في جسديهما واكتسحتهما.

وبعد حين قال وقد حوّل نظراته عنها: «ما كان لهذا أن يحصل».

أغضبها كلامه فقالت: «أرجو لك نهاراً ساراً في المكتب».

نظر إليها مقطباً. لم يكن هذا ما خطط له. لقد انتصرت إميلي عليه، بشكل ما. وألقى نظرة نحوها عبر المائدة، وقال: «سأتصل بك لاحقاً».

وحمل سترته وسار نحو الباب.

بعد دقائق سمعته يترك المنزل ما ترك حسرة عميقة في قلبها.

أمضت إميلي الصباح في استكشاف منزل داميين. أخذت تتنقل من غرفة إلى أخرى ومن طابق إلى آخر لتتعوّد على ما حولها. كانت كل غرفة تقدم فكرة عن الرجل الغامض الذي تزوجته. كان منزلاً رائعاً لكن جوّه لم يكن مريحاً

على الإطلاق، حتى أنه لم يبدُ مسكوناً. بعض الغرف بدت عفنة لعدم استعمالها منذ مدة طويلة.

أما غرفة داميين فقد تجاوزتها، شاعرة وهي تمرّ بقربها بحرارة جارفة وهي تتذكر ما جرى هذا الصباح.

كانت الحديقة نسخة خارجية عن داخل المنزل. كانت، هي أيضاً، رائعة الجمال إنما من دون روح بأعشابها المقصوصة بأناقة وخلوها من الأزهار والعبير.

جلست إميلي على ضفاف البحيرة في الشمس ودلّت قدميها في الماء.

إنها الآن امرأة متزوجة بكل معنى الكلمة. لقد ارتاحت أخيراً من عبء مشاكلها المالية لكن حلّ محلها أعباء من نوع آخر جعلتها دمية بين يديّ داميين.

وجدت صعوبة في تفسير مشاعرها نحوه. أحياناً تظن أنها تكرهه، وأحياناً أخرى تجد نفسها تفكر فيه، وبملامحه السمراء الوسيمة. وتخيّلت فمه الباسم عندما أظهرت بعض الدلال، وتذكرت حنان ذراعيه ودفئهما عندما جرحت يدها. إنها لا تفهمه، ولا تستطيع أن تفهم سبب زواجه منها بهذا الشكل. لكنها ما لبثت أن فكرت في عمق حبه وولائه لعمته روز ما جعله يقدم على أي تصرف ليحميها. ليتها تحظى، يوماً ما، بمن يحبها بهذا الشكل!

عادت إميلي إلى المنزل وأحضرت حقيبة يدها ومجموعة المفاتيح التي أعطاها داميين إياها، ثم سارت نحو المقاهي والمتاجر، حيث اشترت أزهاراً وبعض الكتب الأكثر رواجاً...

وبعد حين، عادت إلى البيت وأخذت تتفحص مشترياتها من الأزهار وهي تهتف بسرور معجبة بها.

وزّعت الأزهار في القاعتين الرسميتين وسرعان ما تصاعد عبيرها ليملأ الجو. كما اختارت مقطوعات موسيقية ملأت المنزل الخالي فشبكت ذراعيها على صدرها وأغمضت عينيها وبقيت واقفة وسط القاعة الكبرى وقد غمرها

www.elromancia.com

سحر الموسيقى.

لم تسمع صوت سيارة داميين كما لم تسمعه يدخل إلى المنزل. لم تشعر بوجوده إلا عندما دخل القاعة. استدارت بسرعة وقد اتسعت عيناها والتهبت وجنتاها وقالت بارتباك: «كنت . . . كنت أستمع إلى بعض الموسيقى».

قال ساخراً وهو يخفض الصوت: «أنت ومعظم الجيران، كما يبدو».

فقالت بلهجة المدافع: «أنا أحب الصوت مرتفعاً».

- يمكنك أن ترفعيه لاحقاً بعد، عندما تبدئين بالصراخ في وجهي . . أما الآن فأريد أن أتحدث إليك.

- أنا لا أصرخ.

- لا تتسرعي، فنحن لم نتزوج إلا منذ أربع وعشرين ساعة.

استدارت مبتعدة لتحضر شريطاً موسيقياً آخر من دون اهتمام بما يقوله.

- إميلي. أنظري إلي.

التفتت إليه: «نعم؟».

- أشعر أنك لا تريدين أن تتحدثي عما حدث بيننا هذا الصباح. ولكن علينا أن نفعل ذلك.

- ما الذي ستتحدث عنه. إنه أمر طبيعي بين زوجين.

-نعم، لكن على الناس أن يتحملوا مسؤولية أعمالهم.

رفعت حاجبها وقالت بوقاحة: «ماذا تريد أن تقول؟»

- هل تأخذين حبوب منع الحمل؟

لم تستطع أن تواجه نظراته واستدارت لتشغل نفسها بزهرة سقطت من الزهرية، وهي تقول بحدة: «أنا أتناول حبوباً، كما أنني لا أشكو من أي مرض، فكن مرتاحاً».

- يسرني سماع ذلك. أخطأت حين لم أفكر في حمايتك. كنت غير مستعد.

عندئذ رفعت بصرها إليه وسألته: «هل من تعليمات معيّنة في حال حدث ذلك مرة أخرى؟».

فأجاب بعنف: «لن يحدث هذا مرة أخرى ويجب ألاّ يحدث. هل هذا واضح؟»

- الذنب ذنبي، إذن. هكذا هم الرجال. حمّلتني المسؤولية لأنك لم تستطع التحكم في رغبتك فيّ.

- كنت مثيرة للغاية. . .

قالت غاضبة: «كنت ألبس طقماً من قماش ذي وبر!».

نصرخ قائلاً: «تبدين مغرية حتى في كيس قمامة».

- عليك أن تخفض صوتك. إنك تصرخ.

- أنا لا أصرخ. . .

وصرف بأسنانه ثم أخفض صوته: «أنت مزعجة إلى حد يدفع الشخص الهادىء إلى الصراخ. لقد جئت إلى البيت لكي أعتذر. . .».

فقاطعته ثائرة: «بل عدت إلى البيت لتطمئن إلى أنك لا تتحمّل أيّ مسؤولية. لا تخف! لن أرفع عليك دعوى لإثبات أبوّة أي طفل منك. لا يمكن أن أفكر في إنجاب نسخة عنك».

- كما سبق وقلت، طريقتك في الحديث ساحرة.

- أصحيح؟ وأنت أيضاً.

وابتعدت عنه وأخذت تقطف أوراق زهرة في يدها.

قال فجأة وقد رأى ما تفعله: «لماذا الأزهار؟ هل مات أحد؟».

- هذا المكان أشبه بضريح فخم، فرأيت أنه بحاجة إلى لمسة تغيير.

- لعلك على صواب. أنا لا أمضي كثيراً من الوقت في المنزل ولذلك لم ألاحظ هذا.

ساد صمت طويل، سحقت خلاله أوراق الزهرة في راحتها وهي تنتظر منه أن يتابع الحديث.

وأخيراً قال: «فكرت في أن نخرج معاً لتناول العشاء الليلة».

www.elromancia.com

- أنا لست جائعة.

فقال عاتباً: «تعالي وسلّيني يا إميلي. أكره أن أتناول الطعام وحدي، ثمة مطعم فخم قريب من هنا».

ترددت. ما الضرر في قضاء أمسية معه؟ فهي لن تخسر شيئاً، بل قد تربح. ماذا لو كشف لها بعض المعلومات عن روز؟ أو ماذا لو استطاعت أن تكتشف مكان إقامتها؟

وافته إلى الردهة بعد عشرين دقيقة. كانت ترتدي بلوزة سوداء محكمة على جسدها وبنطلوناً رمادياً فضياً، وقد تركت شعرها العسلي اللون مسدلاً على كتفيها.

قالت له عندما رأته ينظر إليها: «إنني خارج كيس القمامة الآن».

قهقه بصوت خافت وقال: «هيا، أيتها الجريئة. لا بد أن ما في رأسي صخرة وليس مخاً إذ تورّطت معك».

لم تجب. كانت لا تزال تحاول أن تكتشف دوافعها للارتباط به. إنها تعيش في بيته وتحمل اسمه، بينما دفتر الملاحظات لم يُمسّ. لم تفهم تصرفاتها لا سيّما سلوك قلبها الخائن.

٧ - عناق الوداع

كان المطعم مزدحماً لكن رئيس النادل جاء بسرعة ليقودهما إلى مائدة هادئة في الزاوية. وعندما جلسا وأمامهما شراب بارد بدأت إميلي تشعر بشيء من الارتياح. أخذت ترشف شرابها وتتفحص قائمة الطعام، شاعرة بالساقين اللتين راحتا تحتكان بساقيها من وقت إلى آخر، تحت المائدة.

- ما الذي يعجبك؟

اتسعت عينا إميلي ونظرت إليه حائرة.

- أتعنيه ساخناً أم..؟

احمر وجهها وقالت: «ظننتك تتكلم عن شيء آخر. آسفة! نعم... هذا غير مهم... أي شيء...».

فسألها: «هل أنت متساهلة إلى هذا الحد في أمور أخرى غير الطعام؟».

ردّت وهي ترشف شرابها: «هذا ما يبدو».

انتظر حتى ابتعد النادل، ثم قال: «لديك سرعة بديهة. لكن هذا سيسبب لك كثيراً من المشاكل».

- لم أكن أعلم أنك ممن يتنبأون. ظننت أن الشؤون المالية هي اختصاصك.

فقال بابتسامة مرغمة: «أنت ذكية».

بادلته ابتسامته وقالت: «تملكني لبعض الوقت الخوف من أن أكون قد تزوجت ديناصوراً».

- لماذا تزوجتني، يا إميلي؟

أجفلت لهذا السؤال: «أنا... بدا لي، حينذاك، أنها فكرة جيدة».

www.elromancia.com

- بالنسبة إليّ، هذا مؤكد. منعتك من تأليف كتابك مقابل حلّ مشاكلك المالية. ولكن ما الذي حصلت أنت عليه؟

فقالت باتزان: «حصلت على من يطعمني ويسقيني ويعاشرني كزوجة. فماذا تريد المرأة أكثر من هذا؟».

قطّب حاجبيه: «أظنك تختبئين وراء ذكائك وسرعة بديهتك ومزاجك المتقلب، وذلك لأسباب عليّ أن أكتشفها».

فقالت وهي تتأمله بسخرية: «تنبؤ، مال، علم نفس... أنت رجل متعدد المواهب».

قال يغيّر الموضوع: «حدثيني عن أسرتك».

حوّلت نظراتها عن عينيه: «سبق وأخبرتك. مات والداي منذ سنوات».

- لكنك ذكرت أن لديك أخوين.

- أحقاً فعلت؟

أعجبتها قوة ذاكرته لكنها رفضت أن تتكلم أكثر، فالحديث عن أسرتها غير وارد.

سألها: «أخوان أم أختان؟».

عبست في وجهه: «ما هذا؟ هل غيرت مهنتك؟ هل تفكر في كتابة سيرة حياة أسرتي؟».

- يبدو عليك التكتم الشديد.

- يمكنني أن أعطيك عناوين وأرقام هواتف إذا شئت. وهذا أكثر مما أعطيتني.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها: «ها قد عدنا مرة أخرى. أما زلت متلهفة إلى تلك المقابلة مع روز؟ هل هذا هو سبب ما حدث بيننا هذا الصباح؟ جزء من التملّق للنجاح في هذا؟».

فكرت في قذف بقية ما بقي في كأسها في وجهه، لكنها أدركت أن الكأس فارغ. وتبعت نظراتها يدها وهي تتجه إلى قدح الماء، فقال محذراً وهو

يضع يده على يدها: «لو كنت مكانك لما فعلت هذا، إلا إذا كنت تنوين ألاّ تأكلي في هذه المطعم مرة أخرى».

في هذه اللحظة، وصل النادل حاملاً طعامهما ما اضطرها لأن تتحكم بأعصابها. زفرت بصوت خافت وهي تحرك الأرز في صحنها وقد فقدت شهيتها.

قال وهو يقدم لها طبق الكاري: «أتحبين الكاري؟ من المعروف أنه الأفضل في هذا المطعم».

غرزت شوكتها في قطعة دجاج لكنها لم ترفعها إلى فمها.

عندما رآها تعبث بالطعام من دون أن تأكل، قال لها: «كفى عبوساً. شخصياً، لا يهمني سواء أكلت أم لم تفعلي. ولكني لا أريد أن أفقد شهيتي بسبب نكدك هذا».

- أنا لست عابسة... بل متكدرة. وعندما أكون كذلك لا أستطيع أن آكل.

تنهد بشكل مبالغ فيه ووضع شوكته في صحنه: «إميلي، لم أكن أقصد أن أكدّرك. حاولت أن أتسامر معك. لم أكن أعرف أنه من غير اللائق أن يتحدث الزوج مع زوجته عن أسرتها».

- وأنا كذلك.

رمقها بنظرة صارمة بادلته بمثلها، وقالت: «لا أريد أن أتحدث عن أسرتي. هذا شأني وحدي».

حمل كأسه وقال هازئاً: «بصراحة، السبب الوحيد الذي جعلني أهتم بأخبار أسرتك هو اكتشاف ما جعلك عابسة بهذا الشكل».

وقفت إميلي، ومن دون اعتبار لرؤوس زبائن المطعم التي تحوّلت إليها، اندفعت مبتعدة عن المائدة من دون أيّ نظرة إلى الخلف. لكن قبل أن تصل إلى زاوية الشارع كان قد أمسك بها وتأبط ذراعها.

- لا بأس. إنه وتر حساس، ولن ألمسه في المستقبل.

حاولت أن تنفض ذراعه عنها، لكن ذراعه الأخرى أحاطت بها،

www.elromancia.com

فقالت: «إذا لم تدعني أذهب سأصرخ».

وفتحت فمها استعداداً لذلك، لكن قبل أن يخرج منه أي صوت كانت يده قد أطبقت عليه. حاولت أن تقاوم لكن بدا مصمماً إذ جذبها بقوة إلى أحضانه الدافئة.

عانقها ثم توقف فجأة. فتحت فمها لتتكلم . . . لكنه هزّ رأسه محذراً، وضغط بإصبعه على شفتيها بخشونة: «لا تفعلي هذا».

التوت شفتاها اشمئزازاً فيما قبض على ذراعها واتجه نحو سيارته بخطوات واسعة، وهو يجرّها في أثره. وعندما أصبحا في السيارة، توجّه بغضب صامت نحو البيت.

انتظرت حتى أصبحا داخل البيت، فقالت: «هل ارتفع الحظر عن الكلام أم عليّ أن. . . ؟».

قال وهو يقترب منها والغضب في ملامحه: «أنت تتعمدين هذا، أليس كذلك»؟

- هذا . . . أتعمد ماذا؟

توتر فكه بغضب وهو يحاول التحكم بنفسه: «الإغواء الذي تحسنينه. فأنت مجروحة بريئة تارة وجنية مغرية طوراً».

- ليس لدي فكرة عما تتحدث عنه.

فقال هازئاً: «يمكنني أن أرى إلى ماذا تهدفين، وأعترف بأن الإغراء تملكني لألقي بالحذر جانباً. ستعرفين كيف تستغلين هذا لمصلحتك، أليس كذلك؟».

نظرت إميلي إليه بارتباك: «لم أفهم جيداً. هل لك أن تعود إلى الوراء قليلاً؟ حين قلت لي إنني أبدو مغرية حتى في كيس قمامة؟».

- أنت تفعلين ذلك الآن.

فسألته قد اتسعت عيناها ببراءة: «وما الذي أفعله؟».

فقال وهو يدسّ يديه في جيبي سرواله ويبتعد: «لا تشغلي بالك. سأرحل لأيام في رحلة عمل».

- متى ستعود؟

- ربما بعد يومين أو ثلاثة.

- أليس لديك خطط ثابتة؟ كنت أظن أن أمثالك من رجال الأعمال يسيرون وفق برامج محددة.

- بدأت تتصرفين كزوجة مشككة.

قابلت نظراته المؤنبة بنظرة مترفعة: «لا يهمني أي عمل شرير ستقوم به أثناء رحلتك. . . لأنني سأكون مشغولة في التخطيط لما سأفعله أنا».

ضاقت عيناه بشكل خطير: «حذار، يا إميلي. لا تنسي شروط اتفاقيتنا».

طرفت بعينيها وقالت بلهجة صادقة: «هل لك أن تعددها لي مرة أخرى؟ التفاصيل ليست واضحة تماماً بالنسبة لي».

- لا تعبثي معي، أيتها السيدة. أنت تعرفين الشروط. إذا تجاوزت الحد كالتحدث إلى الصحافة، أو تتبع أثر عمتي من دون علمي، فسيطالك القانون بحيث تتساءلين عما أصابك.

رفعت إميلي رأسها متحدية: «وماذا سيقول محاموك إذا أخبرتهم أنك خرقت الاتفاقية؟ أليس المفترض أن يكون زواجنا صورياً؟».

فشخر ساخراً: «أحب أن أراك تثبتين ذلك. ستكون كلمتك مقابل كلمتي وأنا أعرف من سيصدقون».

فردت بحدة: «بالمناسبة، كيف حال السيدة جانسين؟».

أظلم وجهه بغضب مكتوم: «حذار، يا إميلي. الكلمات الطائشة قد تصيبك بضرر بالغ».

فسألته بجرأة: «هل تحبها؟ أم أن العلاقة جسدية فقط؟».

- أرفض أن أجيب عن هذا.

- لماذا؟

- لأن الأمر ليس من شأنك.

هزّت كتفيها: «حسناً، لا يهمني طالما أنك لا تمسني بدلاً منها حين لا

www.elromancia.com

تكون موجودة».

فقال بغيظ: «هذا كلام حقير».

ضحكت ساخرة: «بإمكانك، على الأقل، أن تقول الحقيقة، حين تقول إن زوجتك لا تفهمك. فهذا يضمن قبولهن عادة. أليس كذلك؟».

- لا أدري. أخبريني أنت. يبدو أنّ لديك خبرة؟

- لا أريد أن أشترك في هذا الحديث.

وابتعدت وقد احمر وجهها.

-ما هذا التناقض، يا إميلي؟. لم أسلم من لسانك طوال المساء، لكنك تزعجين عندما تنقلب الطاولة عليك.

عادت تستدير لتحدق به: «لا فائدة أبداً من الكلام معك إذ سبق وكوّنت عني رأيك الخاص، وما من شيء أقوله أو أفعله سيغير هذا الرأي».

- جربيني. أخبريني أنك لم تلاحقي أخي لتحصلي على صور وجرائد ليس من شأنك أن تريها.

لم تجد إميلي كلمة تقولها للدفاع عن نفسها.

عندما تعرّفت إلى داني، كانت وحيدة وكان هو ودوداً. لقد استغلّته، ولكن، ألم يستغلّها هو أيضاً؟

- إن صمتك يدينك.

أدارت له ظهرها واتجهت إلى الباب، وقد توترت شفتاها من الغضب. فقال معنفاً: «ماذا؟ من دون كلمة وداع واحدة؟».

توقفت ويدها على مقبض الباب. ثم قالت: «ليس لديّ ما أقوله».

-ولا حتى (تصبح على خير)؟

استدارت إلى الخلف تواجهه: «لا، ولا حتى (تصبح على خير). بل أتمنى أن تمضي ليلة سيئة... ليلة عفنة. أتمنى أن تمضي الليلة وأنت تتقلّب وأن تصبح وسادتك كالرصاص و...»

قهقه عالياً، فقضى على تحكّمها بأعصابها. اندفعت عائدة نحوه وعيناها تتألقان حقداً: «إياك أن تسخر مني».

أمسك بيدها فغرزت أظافرها في راحته.

- لا، لا تفعلي هذا.

وأخذ يفك أصابعها عن يده، ثم أمسك بكلتيّ يديها بيد واحدة، ورفعهما إلى ما فوق رأسها.

أخذ صدرها يعلو ويهبط غضباً وعجزاً: «دعني أذهب، أيها النذل».

فقال ببطء: «أحب كلامك حين يكون قذراً».

- لن تحبه حين أقوله للصحافة. حين أخبرهم عن علاقتك بالسيدة جانسين وعن الطريقة التي جعلتني أتزوجك بها لأتستر على ذلك.

قطّب وهو لا يزال يرفع يديها فوق رأسها: «أهذا ما تظنينه؟».

حملقت فيه: «أليس هذا صحيحاً؟».

هزّ كتفيه: «ظننت أنني أوضحت لك أسباب زواجي منك. أردت أن أمنعك من تأليف كتابك».

- أنت تريد السيطرة عليّ وليس على تأليف الكتاب فقط.

فقال بشبه ابتسامة: «هذا ما أسميه بالمهمة المستحيلة. حتى أنت لا يمكنك السيطرة على نفسك، فكيف يمكن لشخص آخر أن يفعل هذا؟».

-جعلتني أفقد تحكمي بنفسي.

- أحقاً؟

ورفع حاجبه بينما جالت عيناه على صدرها الذي ما زال يعلو ويهبط. فقالت بلهجة لاذعة: «أنا لا أعني هذا».

- فعلاً؟.

- طبعاً لا!

- وماذا كان ما حدث بيننا في المطبخ هذا الصباح، إذن؟

- ذلك... كان... مصادفة.

لوى شفتيه: «مصادفة؟».

فقالت تتهمه: «كان الذنب ذنبك. أنت من بدأ ذلك».

- كان بإمكانك أن تنهي ذلك في أي لحظة، لكنك لم تفعلي. لا أدري

www.elromancia.com

لماذا يا إميلي، وهذا ما أستغربه.

- الأمر مجرد جاذبية ليس إلاّ.

- أنت إذن تعترفين بشعورك ببعض الانجذاب نحوي؟

- كلا.

ضحك ساخراً: «كلا، طبعاً لن تعترفي! لكننا نعرف الحقيقة، أليس كذلك؟».

- الحقيقة هي أنك تثير اشمئزازي وازدرائي.

- لكنك قبلت أن تتزوجيني؟

- كان عرضاً أحسن من أن يُرفض. كنت سأقبل بأيّ كان إذا ما عرض عليّ الخلاص. لكنك جئت أولاً.

فقال وهو ينظر إلى حركتها العصبية: «هذا صحيح. وأنت الآن مدينة لي».

بللت شفتيها: «أنا . . . أنا لا أرى الأمر بهذا الشكل».

ترك معصميها المرفوعين لتستقر يداه على خصرها، فتصلب جسدها. ولم تجد ما تضع يديها عليه سوى كتفيه، حيث أخذت تدفعه عنها. لكن، قربه الشديد منها شتت أفكارها وأنساها نيتها بأن تبعده عنها قدر إمكانها. كان قميصه حريرياً، وكتفاه دافئتين عريضتين تحت أصابعها.

اشتبكت عيناه بعينيها، فشعرت كأنها فراشة يجذبها اللهب بالرغم من خطر الحريق. وما هو مؤكد هو أن دامين مارغيت ينذر بالخطر.

قال وقد خفّ ضغط أصابعه على خصرها: «كوني فتاة طيبة أثناء غيابي، يا إميلي».

لم تعرف بما تجيب، فقد حبس قربه منها أنفاسها، وسرّع خفقات قلبها.

أحنى رأسه على رأسها وقال برقة: «قبليني قبلة الوداع».

أرادت أن تقاوم. كل ما لديها من تعقل أصرّ عليها بأن ترفض الإغراء، لكنها لم تستطع مقاومة رغبتها الجارفة.

رفعت وجهها وتجاوبت معه ما جعله يشدّد من احتضانها وضغطها على

صدره.

وفجأة، أصبحت حرة. ابتعد عنها فجأة فبقيت مشوّشة للحظات قبل أن تتمالك نفسها. أرغمت نفسها على مقابلة عينيه، فقال عابساً: «تصبحين على خير، يا إميلي».

أجابت رغماً عنها: «تصبح على خير».

خرج وتركها واقفة، تصغي إلى دقات الساعة على رف المدفأة. تنهدت إميلي وشبكت ذراعيها فوق صدرها، ثم سارت إلى النافذة المشرفة على الخليج لتنظر منها بعينين لا تريان، فيما الساعة خلفها، تستمر في تسجيل الوقت.

www.elromancia.com

٨ - لن يفتقدها!

في الصباح لم تسمعه إميلي يغادر المنزل. بقيت مستيقظة معظم الليل تتقلّب في سريرها محاولة أن تمحو ذكريات الليلة الماضية، وعندما أفلحت أخيراً في النوم غادر داميين إلى المطار ليستقل أول طائرة.

وعندما أعدت لاحقاً فطوراً خفيفاً، أخذت تتساءل عما إذا كان من الطبيعي أن تشعر بالوحدة لفكرة أنه لن يعود إلى البيت الليلة.

يُفترض بها أن تشعر بالإرتياح. فهو لن يفتقدها! ولا بد أنه رتب لقاء مع حبيبته السيدة المتزوجة بعيداً عن أعين الصحافة المتطفلة، بينما هي، زوجته الشرعية، تتساءل عما ستفعله بقية النهار.

دفعت قطعة الخبز المحمص بعيداً. عليها أن تفعل شيئاً بوقتها وإلا سينتهي بها الأمر إلى الجنون. وانتهى بها الأمر تفكّر في داميين، هذا هو الطريق إلى الهلاك، فاهتمامه بها لا يتعدى أنها مجرد مصدر ترفيه وهو أثناء غياب عشيقته. كما أنها لا تشعر نحوه بالمودة... لكن ثمة ما يجذبها إليه كما تنجذب النحلة إلى الزهرة المعطرة.

عليها أن تشعر بالخجل لما جرى بينهما، لكنها، ولسبب ما، لم تفعل، بل شعرت بالفخر... الفخر لأن رجلاً حديدي الإرادة مثل داميين مارغيت، ألقى بحذره جانباً ليستسلم لرغبة أثارتها فيه.

إنها لم تشعر بمثل هذه الرغبة قط من قبل. لم تشعر قط من قبل بمثل هذا التجاوب والإستسلام. بمثل هذا التكامل وكأنها وجدت نصفها الآخر.

أرادت أن يحدث ذلك مرة أخرى لكنها أدركت أن هذا غير ممكن، فهو لا يريد علاقة معها لأن السبب الوحيد الذي جعله يتزوجها هو حماية عمته.

زواجهما كان زائفاً... واجهة استعملاها، لأسباب مختلفة. المشكلة الوحيدة هي أن إميلي لم تعد واثقة من ماهية أسبابها.

في البداية، بدا لها الأمر مقبولاً، لا سيّما بسبب حالتها المادية لكن الأمر اختلط عليها الآن. لقد دفع داميين ديونها كلها. كما اعتاد أن يضع كل أسبوع مبلغاً من المال في حسابها في المصرف ما جعلها تتمكن من فك رهن شقتها. وقد أدهشها أن يسمح لها بالاحتفاظ بها، وعندما سألته عن السبب أخبرها أن لديه موظفين يتلهفون لإيجاد بيوت يستأجرونها. وقد رفع الايجار رصيدها في البنك ما زاد غموض شعورها نحوه.

أرادت أن تشعر نحوه بالغضب وليس بالامتنان. كان اعتمادها عليه يتزايد يوماً بعد يوم. العيش في منزل واحد... مشاركته الأكل والحديث... كل هذا جعلها تراه من زاوية مختلفة.

لم يكن يشبه أخاه داني، فداميين ذكي جداً وظريف بشكل هادىء كما أنه عطوف وحنون إلى حد أدهشها. طبيعته المنعزلة لم تكن وسيلة للحماية وحسب بل جزءٌ من شخصيته.

تمنت إميلي لو تعرف سبب احتفاظ داميين بمكان عمته سراً... سراً خفياً لا يعرفه حتى أخاه. لماذا هذه الأسرار؟ أتراها مدمنة كما تقول الإشاعة؟ أم أن هناك سبباً آخر؟

أخذت إميلي تطوف في منزل داميين من دون هدف، محاولة قتل الوقت. كان قد قال إنه سيغيب ثلاثة أيام... لكنها بدت لها بطول الدهر.

أغرتها شمس العصر لتقوم بنزهة طويلة سيراً على الأقدام بعد أن تحولت حرارة بداية النهار إلى نسيم عليل. سارت لبعض الوقت، متفرجة على الحدائق العامة، معجبة بالمنازل الفخمة في هذه الضاحية الرائعة الجمال. وبدت لها شقتها الصغيرة في الضاحية الأخرى مثيرة للشفقة بالنسبة لهذه الروعة المحيطة بها. وعندما فكرت في مقدار العون الذي قدمه داميين لها للاحتفاظ بشقتها، وجدت من الصعب أن تحافظ على غضبها، لا سيّما وهو غائب.

www.elromancia.com

بدا لها أن غيابه زاد من ميلها إلى التفكير فيه، حتى ملأ ذهنها وكأنه اتخذ له مقاماً فيه، ولم يعد ثمة سبيل إلى طرده منه. جدّت في سيرها مصممة على إبعاده عن تفكيرها، حانية الرأس لتتجنب النسيم، ولهذا لم تر المرأة التي اصطدمت بها. ومدت يدها إلى المرأة الأكبر سناً تسندها وهي تهتف: «أنا جداً آسفة! هل أنت بخير؟ هل أصبتك بضرر؟».

رفعت المرأة يدها إلى شعرها الرمادي اللون ثم نظرت إلى إميلي بعينين سوادوين: «أنا بخير. مضطربة قليلاً فقط».

فقالت إميلي تعتذر: «لم أرك. كان ذهني مشغولاً بأمر آخر، وأنا . . .».

قاطعتها المرأة بشبه ابتسامة أسى: «لا تزعجي نفسك. فأنا لم أعد ثابتة على قدميّ في هذه الأيام».

- هل وجهتك بعيدة؟ سأصحبك إلى بيتك إذا شئت، لأطمئن إلى سلامتك؟

بدا التردد على المرأة. فابتسمت إميلي تطمئنها: «في الواقع، أنا جديدة في هذا الحي. زو . . . زوجي يعيش في المنزل رقم ثلاثة وثلاثين. إنه المنزل ذو السور المرتفع».

التمعت عينا المرأة وغضّنت ابتسامة وجهها الناعم: «أنت عروس إذن، يا فتاة؟».

فشعرت إميلي بوجهها يحمر خجلاً: «هل هذا واضح إلى هذا الحد؟».

- علا وجهك احمرار الخجل كالعروس. إذن، فقد ظفر السيد مارغيت أخيراً بعروس صغيرة. من كان يظن ذلك؟

اتسعت عينا إميلي: «أتعرفينه؟».

-إنه أحد الجيران. إنه شاب وسيم، أليس كذلك؟

- أنا . . . نعم. إنه كذلك.

وعاد وجهها يحمرّ فقالت المرأة: «اسمي مايزي ماكري وأنا أسكن في الشارع التالي».

- وأنا إميلي شير . . . أعني مارغيت.

- أنت إذن لم تحتفظي بشهرتك؟

- إنها في الحقيقة، شهرة زوج أمي، لهذا لم أجد مانعاً في التخلي عنها.

فقالت مايزي: «حسناً، لقد تزوجت من أسرة مشهورة. لديه عمة . . . ما اسمها؟».

- اسمها روز.

- نعم. روز مارغيت. كانت في زمانها ممثلة مسرحية ممتازة.

- نعم. هذا صحيح.

فسألتها مايزي: «ألم تقابليها بعد؟ لقد اعتزلت، ولم يرها أحد منذ فترة طويلة».

لم تعرف إميلي بماذا تجيب. فهي لا تستطيع أن تخبرها أن داميين منعها من مقابلة عمته. كيف يمكنها أن تفسّر ذلك؟ وأخيراً قالت بعد تردد خفيف: «أنا واثقة من أنني سأقابلها قريباً جداً. كنا أنا وداميين، مشغولين جداً مؤخراً و . . .».

أطلقت المرأة ضحكة رنانة: «وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال في بداية الزواج. ما الذي يجعل زوجين فتيين يرغبان في مخالطة أناس كبار في السن، بينما هما مع بعضهما البعض؟».

- هل تسمحين لي بأن أصحبك إلى بيتك؟

طرحت إميلي سؤالها لتبعد الموضوع عن داميين. فصورتها بين ذراعيه تدمّر توازنها النفسي، لاسيّما وأنّ السيدة ماكري امرأة شاعرية من اللاتي يرين في الزواج علاقة سماوية.

وتساءلت عما ستقوله هذه المرأة المسنّة، إذا ما أخبرتها بالحقيقة. حقيقة أن داميين مارغيت اشترى بهذا الزواج سكوتها، موقعاً الاتفاقية بخاتم في إصبعها وأثر في نفسها لا يمكن محوه

أجابت المرأة وهي تمسك بذراع إميلي بيد ترتعش: «سيكون هذا حسناً يا فتاة، عليّ حقاً أن أستعمل عصا عند السير، لكن هذا يظهرني أكبر سناً، ألا تظنين ذلك؟».

www.elromancia.com

ابتسمت إميلي وأبطأت في سيرها لتجاري خطوات المرأة، وهي تقول: «أنا واثقة من أنك ستشترين عصاً جميلة».

فنظرت المرأة إليها ساخرة: «وستقولين لي بعدئذ أن ارتداء ملابس داخلية بقياس شراع السفينة لا يجعلني أبدو أكبر سناً».

انفجرت إميلي ضاحكة. لم تضحك بهذا الشكل من قبل فاستغربت ذلك من نفسها وخنقت ضحكتها. نظرت السيدة ماكري إليها باسمة: «عليك أن تكثري من الابتسام، إن عينيك جميلتان وهما ترقصان عندما تضحكين».

حوّلت إميلي نظراتها بخجل، وتابعتا السير بصمت. شيء ما في هذه المرأة أعجبها. الخطوات المترنحة بجانبها ملأتها عطفاً، فأبطأت سيرها وهما تتابعان طريقهما.

ما إن وصلا إلى المنعطف، حتى وقفت السيدة ماكري أمام منزل أنيق ذي شرفة أرضية.

- هذا هو بيتي. إنه ليس بفخامة منازل الجيرة لكنني أعيش وحدي.

فسألتها إميلي بضيق: «أحقاً؟ هل توفي زوجك؟».

- توفي منذ زمن طويل.

- آسفة لذلك.

فعادت عينا المرأة تتألقان: «الأزواج ليسوا كلهم جذابين مثل زوجك، يا عزيزتي».

احمر وجه إميلي: «عليّ أن أذهب الآن».

وتراجعت خطوة، فقالت المرأة: «تعالي لزيارتي أحياناً واشربي الشاي معي، لا يزورني أناس كثيرون».

- سأفعل بكل سرور.

وضغطت على ذراع المرأة قليلاً ثم استدارت لتعود إلى بيتها.

وبعد يومين، كانت إميلي جالسة تتناول وجبة صغيرة عندما دق جرس الباب فذهبت لتفتحه.

- داني. ما الذي جاء بك؟

- هذا منزل أخي. وبما أن القط غائب...

أفسحت له المجال ليدخل وقد قطّبت بقلق: «لا أدري إذا كانت هذه النكتة ستعجب داميين. أين لويز؟».

هزّ كتفيه وانحنى يشم أزهاراً في زهرية على المائدة، ثم عاد يواجهها قائلاً: «لويز ذهبت لزيارة أمها».

فعبست: «وبما أن القط غائب؟».

- هيا يا إميلي، اشفقي عليّ. دعينا نتناول شراباً ونتحدث. ألا يفترض أن نكون صديقين؟

فقالت عندما توجه إلى غرفة الجلوس: «أنت سلفي الآن».

- وهذا أفضل. لن يمانع داميين في أن أشاركه بك فقد اعتاد ذلك. إن ليندا جانسين هي آخر عشيقاته، عداك طبعاً.

تملكها الضيق البالغ. وكرهت أن يعتبرها وكأنها عشيقة داميين، فقد جعلها هذا تشعر أنها رخيصة. وعندما لم تتكلم نظر إليها: «أنت لا تحبينه، أليس كذلك؟».

شعرت إميلي بوجهها يتوهج: «كلا طبعاً. أنت تعرف لماذا تزوجته».

ضحك ساخراً: «نعم. تزوجته من أجل أمواله، أليس كذلك يا حلوتي؟».

توتر فمها: «ما كان لك أن تستعمل هذا التعبير».

- وكيف كنت لتعبّري عنه أنت، يا إميلي؟

تملك إميلي الذهول للسخرية العميقة في صوت داميين الذي وقف عند عتبة الباب. وشهقت قائلة: «داميين!».

رفع داميين حاجبه هازئاً: «هل أدهشتك رؤيتي؟ كم هذا مؤثر!».

والتفت إلى أخيه: «ما الذي أحضرك إلى هنا، يا داني... عدا عن زوجتي؟».

قال داني: «فكرت في أن أقوم بواجبي بصفتي شقيقك، وأرفه عن إميلي. لكن بما أنك عدت إلى بيتك الآن، فهل يمكنني أن أتحدث إليك عن

www.elromancia.com

بعض الأمور على انفراد؟».

وألقى نظرة قصيرة على إميلي التي استدارت وتوجهت إلى الباب لتخرج من الغرفة وقد توترت ملامحها. إنها لا تثق بداني، وتساءلت عن عدم ملاحظتها هذا من قبل... إنه يعتمد الإغراء والمداهنة حتى يحصل على ما يريد ثم يبتعد هاجراً من دون ندم.

وعندما أغلقت الباب خلفها، سمعت داميين يسأله: «ماذا تريد هذه المرة؟ مالاً؟».

تمنت لو تابعت الإصغاء، لكنها لم تفعل بل عادت إلى حيث طعامها، ومضت دقائق قبل أن تسمع صوت انصفاق الباب الخارجي ومن ثم صوت هدير السيارة.

اتجهت خطوات داميين نحو المطبخ فدفعت طعامها الذي لم تلمسه بعيداً. وعندما دخل، قال لها: «أريد أن أتحدث إليك».

خفق قلبها وهي تراه يلوح أمامها طويلاً أسمر مخيفاً كأحد فرسان القرون الوسطى.

قالت بلهجة دفاع وهي تعيد طعامها نحوها: «أنا أتناول عشائي».

ألقى على الصحن الصغير الذي أمامها نظرة سريعة وقال: «هذا ليس عشاء. إنه لا يكفي لبعوضة».

- أنا لست جائعة جداً.

- هل أنت متكدرة؟

رفعت بصرها إليه: «متكدرة؟».

- قلت لي مرة إنك لا تستطيعين أن تأكلي وأنت متكدرة. هل نسيت؟

نظرت إلى صحنها: «كلا».

فقال: «حسناً، أنا متكدر».

نظرت إليه: «هل لأن داني كان هنا؟».

- لهذا ولأسباب أخرى.

- إنه أخوك، ولم أكن أعلم أنه يحظر علي التحدث معه. عدا عن

عمتك، هل لديك أقارب آخرين تريدني أن أبقى بعيدة عنهم؟

أظلمت ملامحه: «من استضفت غيره أثناء غيابي»؟

فوقفت ودفعت كرسيها بعنف: «لا أحد، رغم أن هذا ليس من شأنك. أنا لا أحاسبك على كيفية قضائك وقتك أثناء رحلتك، رغم أن هذا مفيد في تنويري».

أمسك بذراعها وجذبها لتعود لمواجهته: «لا أريدك أن تمضي وقتاً مع داني بمفردكما».

فرفعت حاجبها تستفزه: «لماذا؟ لأنك لا تثق به أم لأنك لا تثق بي؟».

فجأة جذبها إليه بعنف فوجدت وجهها قريباً للغاية من وجهه: «أنا لا أثق بنفسي قربك، فكيف بشخص آخر»؟

لم تستطع التنفس، لكنها تمكنت من أن تقول: «هل عليّ أن أسجن بالقفل والمفتاح؟».

- لا. لدي خطة أخرى.

- التعذيب؟

بدت على شفتيه شبه ابتسامة: «هذا يعتمد».

فقالت لاهثة بصوت أجش: «على ماذا؟».

فأجاب وهو يعانقها: «على هذا».

وبعد دقائق قررت أن هذا مجرد عذاب. عذاب أن تكون بين ذراعيه وهي تعلم أنه لا يحبها.

قال بصوت خافت: «أنت قطة برية. أتعرفين هذا؟».

تملكها الضياع. اختفى تصميمها على مقاومته، لتحلّ مكانه رغبة هي من القوة بحيث لم تستطع كبحها. كانت أشبه بإعصار اكتسح كل ما حوله، قاذفاً بالعقل والمنطق في دوّامة.

مضى وقت طويل قبل أن يتحرك أي منهما. أبقت إميلي عينيها مغمضتين فيما راح صدر داميين يعلو ويهبط بانتظام.

ابتعد عنها بعض الشيء فأحست بالفراغ والوحدة. قال: «إميلي؟ هل

www.elromancia.com

آذيتك؟».

هزّت رأسها غير واثقة من قدرتها على الكلام. رفع جسمه على مرفقه ونظر إليها: «ما كان لي أن أفعل هذا. كنت قد قررت ألاّ أفعل».

- لا بأس.

- لا. هذا ليس حسناً، إنه ليس بنداً في الإتفاقية.

- أرجوك يا داميين. هذا أمر غير هام.

فقال بامتعاض: «شكراً».

سألته وهي تسوّي الوسائد على الأريكة: «هل تناولت العشاء؟»

سمعته يتنهد قبل أن يجيب: «كلا. أنت تعرفين نوعية الطعام الذي يقدم في الطائرات».

- لا يمكن أن يكون أسوأ من الجبن المبلل مع الخبز المحمص.

- إنهما متشابهان.

التفتت إليه باسمة فوجدته ينظر إليها بحدة، ثم قال: «عندما تضحكين ترقص عيناك. عليك أن تداومي على الابتسام».

حوّلت إميلي عينيها وقد احمر وجهها، فسألها: «ماذا حدث؟».

- لا شيء. ذكرتني بشخص ما. وهذا كل ما في الأمر.

- من هو؟

- شخص قابلته منذ يومين.

- من هو؟

- جارتك الإسكوتلندية السيدة ماكري.

فقال: «لم أسمع باسمها من قبل».

سكب كأسين ناولها أحدهما وهو يسألها: «ماذا كان داني يريد؟».

أخذت جرعة كبيرة قبل أن تجيب: «لم نتحدث في هذا الأمر».

فوضع كأسه على الطاولة: «كنت بالطبع مشغولة بالتحدث عن أسباب زواجك مني».

- لم يكن الأمر كما بدا لك.

رفع حاجبه مشككاً: «حقاً؟».

- لا أدري ما الذي يشعرك بالإهانة، فقد أوضحت دوافعك تماماً.

- أحقاً فعلت هذا؟

- نعم. فما أنا إلا ستار يخفي حب حياتك. الكل يعلم هذا.

- الكل؟

- حسناً، أنا أعلم هذا.

- أنت لا تعلمين شيئاً. لقد اختلقت هذا الأمر لأنه يلائمك.

فقالت غاضبة: «هذا غير صحيح».

وأخذت تتأمل شرابها ثم عادت تقول: «هل كانت معك أثناء رحلتك هذه؟».

- لماذا تريدين أن تعرفي؟

- لأنني لا أريد أن أصبح محط سخرية للناس.

- لم أكن مع ليندا، بل ذهبت لمقابلة بعض الزبائن.

أشاحت بوجهها لا تريده أن يرى مدى ارتياحها لذلك. وقالت: «إذا أردتني أن أصدقك، فعليك أن تصدقني بدورك».

فقال: «موافق على وجهة نظرك. لكنني ما زلت لا أريدك أن تستقبلي داني وحدك».

- داني لا يعني شيئاً بالنسبة إلي.

- ما عدا أنه طريق يوصلك إلى عمتي.

- أنا أحترم شروط الاتفاقية، حتى لو لم تحترمها أنت

. تحوّلت عيناه عنها، فتملكها إحساس خفيف بالانتصار. وساد بينهما صمت غير عادي خرقته إميلي أخيراً بقولها: «أنا لم أطلب منه أن يزورني».

- هذا صحيح. لكنك كنت تتحدثين معه عني.

- هل هذا غير مسموح؟

- نعم. هل تحبين أن أتحدث عما حدث بيننا الآن إلى شخص آخر؟

- أنا لم أخبره شيئاً لا يمكن أن أقوله لك في وجهك.

www.elromancia.com

- إذا كان من المفروض بهذا أن يطمئنني، فهو لم يفعل. لقد قلت لي أشياء كثيرة في وجهي.

- قلت فقط ما تستحق أن تسمعه.

- حقاً.

- عليك ألاّ تلوم سوى نفسك.

- على أيّ حال ما زلت أريدك أن تبتعدي عن داني.

فسألته: «أنت لا تحبه، أليس كذلك»؟

- أنا لا أثق به كما لا أثق بك.

شعرت إميلي بجرح في كرامتها يتعذر تفسيره، لكنها أغاظته بقولها: «هذا تصريح غريب من أخ عن أخيه. ظننت أن الأخوة يساندون بعضهم بعضاً في السراء والضراء».

- داني لا يتصرف دوماً كأخ.

وانحنى يلتقط شيئاً ما عن الأرض تبيّن أنه قرط لها. ناولها إياه فاحتكت يده بيدها لكنها حاولت أن تبدو غير مكترثة. أحست به يراقبها، وكشف ارتباك يديها زيف تظاهرها بهدوء أعصابها.

سألته لتخفي توتر أعصابها: «كيف كانت رحلتك؟ ناجحة؟».

- لا شيء غير عادي.

أحست أنه يكذب، بينما تابع يقول: «وماذا عنك؟ هل أنهيت شيئاً من عملك؟».

- عملي؟

- ألا تقومين بتأليف كتاب أو ما شابه؟

- نعم. إنني... إنني مسجلة بين المؤلفين.

- إذن، ما الذي يفعله أحدكم إذا كان في مثل هذا الوضع؟

هزّت كتفيها: «شوكولاته.. آكل الكثير من الشوكولاته»

سكب لها كأساً أخرى من العصير ثم رفع كأسه يقرعها بكأسها محيياً. فقالت: «نخب من نشرب؟ نخب زواجنا الصوري؟».

لمعت عيناه بسخرية وهو يقول: «لم يعد زواجاً صورياً الآن، أليس كذلك؟».

ارتشفت جرعة من شرابها وأجابت: «لكنه ليس زواجاً... فأنا لا أعرف شيئاً عنك، كما أنك لا تعرف شيئاً عني».

- بل أعرف ما الذي يبهجك.

دفنت وجهها في كأسها وقالت بجفاء: «لا بد أنك تركت الكثير من النساء الراضيات خلفك. لكن رضى الجسد لا يشكّل علاقة كاملة، فكيف بالزواج؟».

- لكنه مهم بكل تأكيد.

- ما الذي تريده مني يا داميين؟ لقد اختلطت عليّ الأمور. الذي أعرفه هو أن زواجنا صوري على الورق فقط، أليس هذا ما اتفقنا عليه؟

وضع الكأس من يده ونظر إلى عينيها الملتهبتين، وشرع يقول: «لم يكن في نيتي أن...».

فقاطعته غاضبة: «توقّف! أنت تردد الكلام نفسه في كل مرة».

- لا بأس! أعدك بألاّ ألمسك. ولكن عليك أن تعديني بشيء في المقابل. أريدك أن تخبري وكيلتك أن الكتاب لن ينشر... أبداً. لن يُكتب على الإطلاق.

- لكنني ظننت...

- لا. إذا نشرت ذلك الكتاب سأرفع عليك دعوى.

- أما زلت تريد أن ترفع عليّ دعوى رغم زواجك مني؟

تصلبت ملامحه: «هل هذا سبب زواجك مني؟ هل ظننت أنني لن أنفذ تهديدي؟ أنت مخططة جيدة، أعترف لك بذلك. لكنني لا أريد أن أرى اسم عمتي يتلطخ بالوحول لكي تضمني شيخوختك، حتى لو كنت زوجتي».

لم تستطع إميلي النطق. وقفت وكأس العصير تكاد تسقط من يدها: «لا أستطيع أن أصدق أنك ستكون بهذا... بهذا الشكل الـ...».

وحاولت، عبثاً، أن تجد الكلمات المناسبة.

www.elromancia.com

- أي شكل، يا إميلي؟

- القاسي... عديم الإنسانية.

- من هو القاسي، القديم الإنسانية؟ أليس أنت التي تريدين أن تكتبي مجموعة من الأكاذيب عن امرأة عجوز ضعيفة لم تعرف السعادة قط؟

فشعرت إميلي بموجة من الشعور بالذنب تكتسحها، فيما تابع يقول: «أخبريني يا إميلي. هل فكرت قط في نتيجة هذا النوع من الكتب التي تؤلفينها؟».

- أنا...

- طبعاً لم تفكري. اكتفيت بالجلوس أمام جهاز الكمبيوتر وبطباعة تفاصيل حياة شخص ما وكأن هذا لا يعني سوى زيادة المبيعات. وكلما كثرت الفضائح كلما ازدادت المبيعات... أليس هذا صحيحاً؟

لم تجد ما تقوله، فالكثير مما قاله صحيح. في الماضي، فعلت هذا بالذات، فقد كتبت كل ما يشير إلى فضيحة قد تثير اهتمام القارىء. وقد نجح هذا مع كتابها عن رايف نورتون فلويد، رغم أن اسمها تلطخ بالوحل مع اسمه. ظنت أنّ كتابة سيرة حياة روز مارغيت ستصلح الأمور، لكن دخول داميين حياتها غيّر كل ذلك، إذ وقعت في الفخ كما تقع الذبابة في بيت العنكبوت.

قال لها وهو يناولها الهاتف: «اتصلي بوكيلتك الآن وأخبريها أنك غيّرت رأيك. وإذا لم تفعلي فسأقوم برفع دعوى في المحكمة في الصباح».

أخذت إميلي الهاتف بيد ترتجف، وهي تقول بيأس: «لن أحصل على اتفاقية أخرى لكتاب آخر قط بعد الآن...».

فقال والحزم في ملامحه: «أنت الآن مرتبطة باتفاقية معي. أرجئي طبع الكتاب إلى أمدٍ غير محدد، وأنا سأواجه أي دعوى قضائية شخصياً».

طلبت رقم كلاريس ثم انتظرت. وعندما جاءها الجواب، ترددت. كان داميين واقفاً أمامها شابكاً ذراعيه على صدره بتصميم عنيد، فشرعت تتكلم بصوت هادىء محايد وكأنها لم تكن تهدم مستقبلها ككاتبة بل مستقبل شخص

آخر. وعندما انتهت أعادت إليه الهاتف وهي تقول له بحدة: «هل أنت سعيد الآن؟».

أعاد السماعة إلى مكانها ثم تناول كأس شرابه: «عندما تعرفين عمتي، لن تندمي على هذا».

- إذن، أنت تنوي أن تعرفني بها؟ ما الذي غيّر رأيك؟ يبدو أنني أعظم شأناً مما ظننت.

فقطّب: «لا تبخسي من قدر نفسك بهذا الشكل».

- أنت قلت ذلك وليس أنا.

- آسف. كان كلامي ذاك غير مناسب. كنت غاضباً ومتوتراً.

كان اعتذاره فظاً، لكنه يبقى اعتذاراً.

تكوّرت في زاوية الأريكة وأخذت ترشف شرابها. وأخيراً، قال: «سأجهز شيئاً آكله. أتريدين شيئاً؟».

هزّت رأسها: «لست جائعة».

تنهد ساخطاً وخرج من الغرفة، بينما دفعت إميلي كأسها جانباً، ثم وضعت رأسها بين يديها. كيف أوقعت نفسها في هذه الورطة؟

www.elromancia.com

٩ - متغطرس ومغرور

عاد داميين بقرصين من العجة على صينية وضعها أمام الأريكة. فسألته: «هل تنتظر أحداً؟».

- لا. ظننت أنك قد تشعرين بالجوع.

وناولها صحناً فترددت: «أخبرتك أنني لست جائعة».

- لا يمكنك أن تبقي من دون طعام، يا إميلي. أنت نحيلة للغاية. قد يظن الناس أنني لا أغذيك.

تناولت منه الصحن باستياء وأخذت تحرك الشوكة في العجة، فقال لها: «ليست مسممة».

-ما ظننت لذلك.

جلس بجانبها ثم تناول آلة التحكم عن بعد وسألها: «مزيداً من العصير؟».

هزّت رأسها نفياً وهي تعود لتحريك العجة بالشوكة. تذوّقت القليل منها فدهشت للجوع الذي شعرت به. وبعد دقائق، أصبح الصحن فارغاً فوضعته على الطاولة التي أمامهما شاعرة بالذنب. نظر إلى صحنها الفارغ راضياً، وقال: «ثمة فيلم جيد على القناة الأخرى».

- الخيار خيارك.

استلقت على الأريكة مسترخية، بينما زاد تشوّشها.

أخذ داميين يبدّل محطات التلفزيون بينما هي تحدق بعينين لا تريان إلى الصور المتعاقبة وذهنها يحملها إلى أماكن أخرى. تحركت في مقعدها بضيق فالتفت إليها: «يمكننا أن نشاهد شيئاً آخر إذا شئت!».

- لا، آسفة... كنت أفكر في.. في أمر آخر.

عادت تستقر في جلستها، مرغمة نفسها على التركيز على الشاشة أمامها، واعية إلى قربه منها، كانت ذراعه ملقاة على ظهر الأريكة خلفها بشكل يجعل أصابعه تلامس رأسها فيما لو أرجعته إلى الخلف. إدراكها لهذا أغراها للقيام بذلك. شعرت برأسها ثقيلاً، وتلهفت رقبتها إلى الميل إلى الخلف لتسندها إلى يده. أغمضت عينيها وركّزت ذهنها على الكلمات الآتية من التلفزيون. ليت بإمكانها أن تفكر في شيء سواه!

استيقظت بعد فترة، وفتحت عينيها ذاهلة، لتجد رأسها على ركبتي داميين، ويده في شعرها.

شعر بها تتحرك فرفع يده. انتصبت جالسة ومسحت عينيها الناعستين، وقد احمرّت وجنتاها وهي تتذكر كيف وضعت رأسها ببراءة على ركبتيه.

- آسفة، لا بد أن النوم غلبني.

أجاب وهو يزيح خصلة من شعرها عن وجهها: «هذا صحيح».

سألته وهي تبتعد عنه: «هل كانت النهاية سعيدة؟»

- نهاية ماذا؟ الفيلم؟

فأومأت برأسها.

- أظنها كانت سعيدة بما يكفي.

فسألته: «أنت إذن غير شاعري؟».

- ما الذي جعلك تقولين ذلك؟

- مجرد إحساس.

- لا تقارنيني برجال آخرين يا إميلي. أنا لست عديم المشاعر.

- لم أقل إنك كذلك.

- لكنك لا تميلين إلي، أليس كذلك؟

عضت شفتها وقالت بحذر: «هل يفترض بي ذلك؟».

- منذ سنوات، كان من المفروض أن تقسمي على ذلك. لكن «الحركة النسائية» غيّرت الموازين. ليس عليك أن تطيعيني، لكنني أحب أن تشعري

www.elromancia.com

تحوي بشيء من الاحترام.

- الاحترام يكتسبه الشخص بنفسه.

فقال بجفاء: «أرى أن أمامي مهمة».

لم تجب، بل جلست بصمت فيما أصابعه تتخلل خصلات شعرها. وامتلأ جسدها شوقاً إليه عندما أخذ يلفّ شعرها الحريري على إصبعه. مالت برأسها إلى الخلف لكي تقترب منه أكثر، ثم أدارته نحوه والتقت عيناها بعينيه. حدقت إلى فمه، فرأت شفتيه الصارمتين تسترخيان بشبه ابتسامة. تركت يده شعرها لتمسك بذقنها وسألها: «ماذا سأفعله بك يا إميلي، يا زوجتي؟».

ابتلعت إميلي ريقها ولم تجد ما تقوله، فقال متأملاً: «أنت حلوة للغاية حين لا تنهالين عليّ بالشتائم. كما أنك تنامين كطفلة».

حاولت أن تتخلص من قبضته، لكن أصابعه اشتدت قليلاً حول ذقنها وهو يقول: «لا. لا تبتعدي عني. أريد أن أتحدث إليك».

- ليس من الضروري أن ترفع ذقني بهذا الشكل لكي تفعل ذلك.

أرخى أصابعه لكي يلامس وجنتها بإبهامه. واحتبست أنفاسها لقربه منها، وأشعلت لمساته الرقيقة النار في دمها. تشابكت أعينهما، فبدت لها عيناه القاتمتان العميقتان أشبه بدوّامة غامضة للغاية.

قال: «بالنسبة إلى شخص يدّعي أنه يكرهني، يصر جسدك على أن يرسل لي رسالة معاكسة».

- لا أدري ما الذي تتحدث عنه.

التوى فمه بشبه ابتسامة، ومرر إبهامه على شفتها السفلى: «بالرغم منك ومن رأيك فيّ، أنت منجذبة إليّ، أليس كذلك؟».

شعرت بالحرج: «أنت غني وصاحب مركز ومعظم النساء يجذبهن ذلك. لكن هذا الانجذاب من النوع السطحي الذي لا يدوم».

فقال وهو يبعد يده عن وجهها: «يبدو أنك واثقة تماماً من ذلك».

- يمكنني أن أضمن هذا. يمكنني أن أمنحه ستة أسابيع على الأكثر. بعد

ذاك يصبح كل شيء روتيناً مملاً.

فقال متحدياً: «أتريدين تجربة ذلك؟».

- ماذا؟

- دعينا نكتشف إن كانت نظريتك صحيحة. أتحداك أن تمضي الأسابيع الستة التالية معي كزوجة حقيقية.

- أتعني أن أقوم بغسل ثيابك وكيّها؟ انس ذلك. لدي أمور أفضل أقوم بها في . . .

- لا. أنت تعلمين أنني لا أعني ذلك. أعني أن تكوني عشيقتي ورفيقتي، ليس على الورق فقط بل في الحياة الحقيقية.

- لا يمكن أن تكون جاداً.

ووقفت ثم سارت في الغرفة بضيق.

- بل أنا جاد تماماً. إنني أراهن على أن الملل لن يتملكك في نهاية الأسابيع الستة. أضمن لك ذلك.

- ماذا لو حصل ذلك؟ ماذا لو خسرت الرهان؟

- لن أخسر الرهان. ولكن إذا أردت أن ترحلي بعد الأسابيع الستة فلن أمنعك.

وقفت وحدقت إليه: «أتعني أن بإمكاني أن أرحل؟

- إذا رأيت هذا ضرورياً.

- سيكون هذا ضرورياً طبعاً. لا يمكنك أن تمضي حياتك مرتبطاً بي كما لن أبقى مرتبطة بك.

- دعينا لا ننظر بعيداً. ستة أسابيع كافية حالياً. أما بالنسبة إلى المستقبل . . . من يدري؟

عضت إميلي شفتها. هذا الأمر يخرج من يدها. ظنت أنها تتنازل عن كبريائها وحده لكن ماذا عن قلبها؟

قالت له بحدة: «لن أقوم بالطبخ والتنظيف وأصرّ على النوم في الجانب الأيمن من السرير. لدي غرض من وراء ذلك».

www.elromancia.com

تفحص وجهها المتمرد، وسألها: «أي تعليمات آخر؟».

تساءلت في سرّها إن كان ينبغي أن تخبره حقيقة أنها لا تتناول حبوب منع الحمل.

- إميلي؟

فقالت بحزم: «نعم، ثمة أمر آخر. أريدك أن تخلص لي».

- أؤكد لك أنني سأكون مخلصاً لك طوال الأسابيع الستة القادمة.

- وهذا ما أريده.

ساد صمت قصير ثم سألها: «وماذا عنك؟ هل ستبقين مخلصة لي طوال هذه المدة؟».

لم تستطع أن تواجه عينيه المتفحصتين وهي تقول: «هذا طبيعي».

نهض ووقف أمامها: «إذا لم تخلصي لي، فستدفعين ثمناً باهظاً. أنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟».

بقيت إميلي صامدة رغم الهلع الذي تملّكها من التهديد الذي بدا في عينيه. و قالت: «أعلم أنك تريد أن تجعلني أتألم قدر الإمكان. ولن توفر فرصة لذلك».

فقال بأسف: «إن رأيك بي يسوء يوماً بعد يوم. من يعلم كيف سيكون في نهاية الأسابيع الستة؟».

- سأخبرك منذ الآن، وهو أن كرهي لك وتقززي منك لن يتغيرا.

أزعجتها ضحكته الساخرة وقال: «هل أنت واثقة يا إميلي الحلوة من ذلك؟».

وعاد يمسك بذقنها ورفع وجهها إليه لينظر في عينيها المتمردتين: «عليك ألاّ تراهني بحياتك الآن».

تخلصت من قبضته وهي تصرف بأسنانها: «ستكون مسروراً للغاية إذا ارتميت عند قدميك أعترف لك بحبي متوسلة كي لا تهجرني... أليس كذلك؟ لكن هذا لن يحدث أبداً، فأنت تمثّل كل ما أكرهه في الرجل. أنت متغطرس، متسلّط، ومغرور».

- أنت أيضاً لست مثلي الأعلى بين النساء. وبما أننا نتبادل الإهانات، فاعلمي أنك امرأة مشوّشة، من دون مبدأ، تفعل أي شيء من أجل قصة جيدة. والدليل على ذلك أنك خرجت مع داني، ثم نبذته لكي تتزوجيني إذ رأيت أن هذا سيجعلك تقابلين روز. لكن مشروعك الصغير لم ينجح، أليس كذلك؟

- الزواج كان مشروعك أنت وليس مشروعي.

- لكنه ناسبك. كنت أتساءل إلى أي مدى يمكنك أن تصلي في سبيل إتمام كتابك؟ وقد فعلت بالضبط ما توقعته. بعت روحك من أجل المال، مالي أنا. سمعتك تعترفين بهذا لداني.

عندما لم تجد ما تدافع به عن نفسها، قال ساخراً: «ألن تنتقديني؟ أما من جواب ذكي يوقفني عند حدّي؟».

فقالت غاضبة: «لن أضيّع وقتي».

عندئذ، دق جرس الهاتف فرفع داميين السماعة وتحدث باختصار ثم ناولها إياه: «إنه لك».

أخذت إميلي السماعة وأدارت له ظهرها: «ألو».

وارتفع صوت كلاريس كونور في الغرفة: «ما الذي تفعلينه، بحق جهنم؟ توقفين كتاب «خزانة روز»؟ لا يمكنك القيام بذلك؟».

تنفست إميلي بعمق: «لقد فعلت هذا لتوي».

- لا يمكن أن تكوني جادة، يا إميلي! هل هذا من باب الدعاية ولفت الأنظار؟ أعني أن زواجك من ابن الأخ أمر حسن... سيدفع الكل لقراءة الكتاب. الكل يسألني عن موعد صدور الكتاب. لا يمكنك أن تسحبي مشروعك الآن.

- أنا مضطرة لذلك.

- من قال هذا؟ إنها الفرصة الكبرى التي كنا ننتظرها، فلا يمكنك أن تدعيها تفوتك. تباً! لا يمكنني أن أدعها تفلت.

- هذا أمر يخصني أنا وليس أنت، يا كلاريس. لن أؤلف الكتاب وليس

www.elromancia.com

لدي خيار آخر.

- حسناً، لم أعد وكيلتك. لن أحتمل هذا بعد الآن. سأفقد مصداقيتي بسببك. لا أحد سيتخذني وكيلة بعد هذا.

- آسفة يا كلاريس، ولكن...

فقاطعتها كلاريس بلهجة مرة: «أنت آسفة؟ أنا من يأسف لأنني كنت أشفق عليك. كان عليّ أن أدرك، بعد ما حصل بشأن «نورتون - فلويد» أنك مصدر إزعاج وحسب... إن سحر ملايين مارغيت لا يقاوم، أليس كذلك؟ لم أكن أظنك بهذا الشكل. لم أظن قط أنك ستبيعين نفسك رخيصة بهذا الشكل».

أجفلت إميلي عندما أقفلت كلاريس الخط في وجهها. وضعت السماعة وقد أدركت أن دامين يقف خلفها صامتاً.

شعرت بيده على كتفها. وحين تكلم جاء صوته عميقاً لكن رقيقاً: «أعطني الهاتف، يا إميلي».

ناولته الهاتف بيد غير ثابتة، فأعاده إلى مكانه ثم واجهها قائلاً: «أدرك أن هذا كلفك الكثير، لكن صدقيني أن هذا هو الأفضل».

فقالت بمرارة: «الأفضل لمن؟؟ لك؟».

- بل لروز.

مسحت عينيها الدامعتين وقد تملكها الغضب لأنه كان شاهداً على تحقيرها. قالت: «سأمضي بقية حياتي أنتظر عند طاولات المقاهي. لا أحد سيرغب في العمل معي بعد الآن... لا أحد».

- هذا غير صحيح. يمكنك أن تغيّري اتجاهك. اكتبي شيئاً آخر.

- تظن أنّ الأمر سهل للغاية، وكأن بإمكاني أن أسير في الشوارع وأربت على كتف أقرب وكيل وأقول له: «اعمل معي. لقد أصدرت كتاباً ناجحاً، وآخر فاشلاً، ثم تراجعت عن كتابة السيرة الأخيرة، لكنني سأحاول أن أنجز عملي كما ينبغي هذه المرة. كما لو أن...».

- ماذا كنت تعملين عندما كتبت كتابك الأول؟

- كنت موظفة مبتدئة في صحيفة محلية. تحرّش بي رئيس التحرير مرات عدة فتركت العمل.

- كان عليك أن ترفعي دعوى.

- من أين لي المال؟ ثم من ذا الذي سيصدقني؟

- ما الذي جعلك تختارين عمتي؟

عادت إميلي تجلس ثم تناولت منه كأس العصير الذي قدمه لها: «لست واثقة. أظن أن الغموض في حياتها هو الذي استرعى انتباهي. امرأة يجثو العالم عند قدميها، وإذا بها تختفي فجأة من دون إيضاح أو وداع. الصمت فقط».

- كان هذا خيارها.

- أعرف هذا، لكنه غير مفهوم. لماذا تهجر كل المجد مفضّلة الظلام والغموض؟ ما هو سبب اختفاءها؟

- للناس أسبابها الخاصة. والشهرة ليست باللمعان الذي تبدو عليه. بعض أشهر الناس وأحبهم إلى قلوب الجماهير يمكن أن يعانوا من الوحدة البالغة.

أخذت إميلي ترشف شرابها وهي تفكر في كلامه. وعاد هو يقول: «كثيرون استنتجوا أن روز أصبحت مدمنة، لكنني أؤكد لك أن هذا غير صحيح».

- إذا أجرت مقابلة تلفزيونية واحدة، فستتوقف الأقاويل و...

فقال بعناد: «لا. لن أسمح بذلك».

- لن تسمح بذلك؟ ولكن ماذا عما تريده روز؟

- أنا أتحدث إلى روز كل يومين. أعرف بالضبط ما تريده.

وقفت إميلي ووضعت كأسها على الطاولة: «أظن أنّ عليّ أن أخلد إلى النوم الآن. فأنا متعبة».

- سأنضم إليك خلال دقائق.

فقالت مترددة: «هل... هل تريدني أن...؟».

www.elromancia.com

فقال وعيناه تحترقان في عينيها: «نعم، أريدك».

تركت الغرفة وساقاها ترتجفان، وقلبها يخفق بسرعة. ما الذي وافقت عليه؟ ستة أسابيع من الزواج الفعلي! لكن بأي ثمن؟ سكينة نفسها أم قلبها؟

استلقت في السرير الفسيح حيث تفوح من الملاءات رائحة عطر بعد الحلاقة الذي يضعه وكبحت رعشة تملكتها وهي تضع رأسها على أقرب وسادة. أرادت أن تنام بأسرع ما يمكنها.

لكن هذا لم يحدث. أخذت تتقلّب في الفراش عاجزة عن الاسترخاء. كان النور القادم من الطابق السفلي يزعجها، كما أخافتها فكرة نوم داميين قربها. كيف يمكنها أن تكبح تجاوبها معه والشوق إليه يكاد يحرقها؟.

وعندما سمعت وقع خطواته أغمضت عينيها. أرادت أن تتجاهل فتح الباب، وتقاوم الإغراء بأن تهب من السرير وتهرب إلى غرفة أخرى لتبتعد عنه. وشعرت بضيق في صدرها نتيجة الجهد الذي تبذله للتحكم في تنفسها. تملّكتها رغبة في الصراخ لكنها بقيت صامتة، فيما اختلط الخوف باللهفة في أحشائها.

شعرت به يستلقي بجانبها، فحبست أنفاسها بانتظار أن يمدّ يده إليها.

قال وهو يجذب الغطاء نحوه: «يمكنك أن تسترخي، يا إميلي. فأنا مرهق أيضاً».

استلقت في الظلام تصغي إلى تنفسه المنتظم، لا تجرؤ على الحركة كيلا تثيره.

وشعرت به يلتفت إليها: «بالمناسبة، أنت مستلقية على جانبي من السرير. لقد طالبت بالجانب الأيمن، أليس كذلك؟».

فقالت بفتور: «أنا... هذا غير مهم».

– هذا حسن، لأنني من التعب بحيث لا أستطيع أن أتشاجر معك. لكن صدقيني، لولا ذلك لانتصرت عليك.

لم تجادله إميلي بل أغمضت عينيها، تريد نسيان كل ما حولها.

لم تستطيع أن تنام. واستلقت تفكر ساخطة في قدرته على النوم بسهولة

وسرعة بينما هي تتقلب وقد تملكها التوتر. كيف يجرؤ على ألا يشعر بشيء من التأثر وهي بجانبه؟

وفكرت في أن تنهض تفتح النافذة لكنها لم تشأ أن تغامر بإيقاظه.

اختلست نظرة إليه في ضوء القمر فبدا مستغرقاً في نوم عميق، وقد استرخت ملامحه واختفت خطوط التوتر العميقة من حول فمه.

وتساءلت عن نوع القلق الذي رسم تلك الخطوط. أدركت، وقد تملكها شعور بالخجل، أنها لم تسأله عن نوع عمله، وماهية الضغوط التي يتعرض لها يومياً. كل ما فعلته هو التشاجر معه ومحاولة الانتصار عليه.

تنهدت وعادت تستلقي لتحدق السقف. تساءلت كيف سيكون الحال لو أنها زوجته حقاً، وليس على الورق فقط. زوجته فعلاً ليس لأنه يريدها أن تتوقف عن تأليف كتابها، بل لأنه يريد أن يمضي حياته معها. وتساءلت كيف سيكون شعورها وهي تعلم أنها محبوبة وأن لديها من تعتمد عليه أثناء مسيرة الحياة الصعبة... شخص تتحدث إليه ويكون موجوداً على الدوام.

أغمضت عينيها تكبح دموعها. هل كثير عليها أن تطلب أن تكون محبوبة؟ لا سيّما وأن الحياة لم تنصفها. فكرت في أبيها الذي رحل وهي في الرابعة. وفي أمها التي لم تحتمل ما حدث، فأخذت تصبّ غضبها على إميلي وأخويها.

قرأت ذات مرة أن رغبات الأطفال غير المشبعة يمكن أن تكون سبب أخطائهم في الحياة لاحقاً. وزواجها من داميين هو أحد تلك الأخطاء. لقد عاشت سنوات كثيرة بفضل ذكائها، وحيدة تكافح في سبيل معيشتها. داميين قدم لها حلاً سرعان ما تلقفته، من دون تفكير في نتائجه على المدى الطويل. حتى أنها لم تفكر في حماية نفسها من الحمل، ولا تستطيع أن تتصور ما قد يقوله داميين إذا أخبرته بشكوكها. سيتهمها من دون شك بأنها تحاول أن تنجب منه لتضمن لنفسها دخلاً ثابتاً في السنوات القادمة.

شعرت بالغثيان فتملكتها موجة من الذعر. لا بدّ أن الوقت ما زال مبكراً لتشعر بغثيان الصباح الذي يصيب الحوامل.

- هل لك أن تكفي عن التلوّي ورفس ساقي؟

أجفلت لزجرته هذه التي قطعت عليها أفكارها التعيسة. التفت ذراعيه حولها، ورفعها ليضعها على الجهة اليمنى من السرير حيث كان مستلقياً وهو يقول: «هنا، هل أحسن؟».

كان ما يزال يحيطها بذراعيه. فأجابت: «نعم».

- هذا حسن.

تحرك قليلاً فشعرت بحرارة جسمه المحرقة.

- يبدو لي أنا أيضاً أحسن.

انحنى يقبلها وذراعاه تشدانها إليه، فتنهدت.

ما الفائدة من أن تبكي طالبة المستحيل بينما يمكنها أن تنعم بالفردوس ولو لستة أسابيع فقط. بعض الناس يمضون حياتهم من دون أن يعرفوا هذه الأحاسيس التي تجرفها وهي مع داميين.

إنها تحبه، ولا فائدة من نكران هذا بعد الآن. لا تعرف كيف بدأ هذا بالضبط... ربما منذ الليلة الأولى التي قابلته فيها عندما حاول أن يبعد داني الغادر عنها بمرافقتها إلى حفل تسليمها الجائزة.

أو ربما ليلة عرسها عندما أخذ يضمد إصبعها المجروح بحنان جعلها تبكي؟ أم أنّ شعورها هذا وليد البهجة الرائعة التي تشعر بها بين ذراعيه؟.

١٠ - عشاء مع عشيقته

استيقظت إميلي وحدها لتجد ملاحظة على الوسادة بجانبها. جلست وأزاحت شعرها عن وجهها، وأخذت تقرأ:

«إميلي،

لديّ اجتماع مبكر مع مندوبي الشركة. ثمة عشاء هذا المساء وأريدك أن ترافقيني. سآتي لآخذك عند الساعة السابعة».

أخذت إميلي تحدق في الخط القوي، والكلمات الموجزة العملية التي لا تشبه تلك العواطف الجياشة الحميمة التي عاشاها ساعات فقط.

تنهدت، وأخذت تسوّي أغطية السرير وهي تفكر في مدى حماقتها! ما الذي كانت تتوقعه؟ اعتراف بحب لا يموت؟ واصطدم إبهام قدمها بقائمة السرير فأخذت تشتم فيما اغرورقت عيناها بالدموع ليس من الألم في قدمها بل من الفراغ في قلبها.

وعندما خرجت من الحمام كان جرس الهاتف يرن فلفت منشفة حول جسدها وهرعت إليه.

- إميلي؟ أنا ميزي ماكراي.

حاولت إميلي أن تستر الدهشة في صوتها وهي تجيب: «كيف حالك، يا سيدة ماكراي؟ أردت أن أزورك، لكنني ظننت...».

- ادعيني «ميزي» رجاء، كنت أتساءل عما إذا كان لديك برنامج خاص لهذا اليوم؟

- لا. لا شيء.

ثم تذكرت رسالة داميين فأضافت: «بل لدي... أعني لدينا عشاء هذه

www.elromancia.com

الليلة. لكنني حرة طوال النهار».

- عشاء شاعري لشخصين؟

- لا، إنه عشاء عمل.

- يبدو في صوتك خيبة الأمل!

لم تعرف إميلي بما تجيب.. بينما عادت المرأة تقول: «حسناً، أنا لم أتصل بك لأتحدث عن زوجك. اتصلت راجية أن تتمكني من زيارتي اليوم».

فقالت إميلي وهي تفكر في النهار الطويل الفارغ الذي ينتظرها: «بكل سرور. هذا يسرني للغاية».

سارت ميزي إلى الباب مرتدية سروالاً أزرق داكناً فيما رفعت شعرها الأبيض الكثيف إلى الخلف بوشاح. شهقت سروراً لباقة الأزهار التي حملتها إميلي بين يديها.

- ما أجملها!.

ودفنت وجهها في الأزهار قبل أن تلتفت إليها باسمة: «لم يهدني أحد أزهاراً منذ سنوات. تفضلي بالدخول. سأحضّر الشاي».

تبعتها إميلي إلى غرفة جلوس أنيقة... وكان المنظر الذي تطل عليه الغرفة يحبس الأنفاس فهتفت إميلي: «ما أجمله».

- أنا أجلس ساعات أنظر إليه. لولا هذا المنظر الرائع في بيتي لما أصبحت ناسكة كحالي الآن.

التفتت إميلي إليها. رأت في ميزي شيئاً مختلفاً لم تستطع أن تفهمه تماماً، لكنها أحست به.

- هل أنت ناسكة حقاً؟

تنهدت ميزي وناولتها كوب شاي: «البعض يصفني بهذا.. لكنني لا أرى الأمر على هذا النحو. فأنا أخرج إذا اضطررت لذلك، لكنني لا أخرج إلا عند الضرورة القصوى. لا أحب أن أرى الناس يحدقون إليّ، متسائلين عما أعاني منه».

ركزت إميلي نظرها على النقوش التي تزين كوب الشاي، ثم سألتها بلطف: «هل سبق وأصبت بجلطة في الدماغ؟».

- كلا، بل أعاني من «مرض باركنسون».

نظرت إليها إميلي: «أنا آسفة جداً لأجلك. لا بد أنّ الوضع صعب عليك».

- إنني أتدبّر أمري.. لكن هذا يكفي عني. ماذا تفعلين أنت؟ هل تتابعين العمل بعد زواجك؟ لا أظنك بحاجة إلى ذلك بما أنّ زوجك غني!

فقالت إميلي بكآبة: «اعتدت أن أكون كاتبة».

- اعتدت أن تكوني؟

- لقد تخلّت عني وكيلتي. تعرّضت لبعض المضايقات بالنسبة إلى آخر كتاب.

- أخبريني عنه.

ترددت إميلي لحظة قبل أن تعترف: «كنت أحضّر لكتابة سيرة حياة... شخصية مشهورة. لكن أحد أقربائها منعني من ذلك».

- أحقاً؟

- لم أستطع أن أجازف بتعريض نفسي لدعوى إذ كنت غارقة في الديون. على أي حال، سلكت الطريق السهل للخلاص.

- وما هو ذلك الطريق السهل للخلاص؟

لم تستطع إميلي أن تواجه عيني المرأة: «قبلت أن يدفع لي الثمن».

- هل دفع بسخاء؟

- نعم... من بعض النواحي.

- ولكن ليس من ناحيتك؟

فقالت وهي تضع الكوب من يدها: «لم أعد أعرف كيف أفكر. أحياناً أظنه... كان ذلك الشخص على حق. من الصعب أن يكون الإنسان تحت أعين الناس طوال الوقت. من وددت أن أكتب عنها قررت أن تبتعد عن الناس لسبب ما، وأظنها كانت على صواب في تصرفها هذا. لكن، كيف

يمكن لهذه المرأة المشهورة أن تدير ظهرها للناس الذين كانوا يعبدونها؟».

أخذت ميزي ترشف الشاي مفكرة، ثم أجابت: «إنه خيار صعب. وأظن أن القضية قضية دوافع وأولويات. الناس لديهم أسباب لتصرفاتهم قد لا نوافقهم الرأي عليها دوماً، لكن كل منا يضطر لأن يقوم بما هو مناسب له أحياناً».

- نعم، أظنك على حق. أتمنى لو أقابلها وأتعرف إليها شخصياً.

- هل أفهم من هذا أنك تعنين عمة زوجك؟

فأجابت إميلي، معجبة بذكاء محدّثتها: «نعم».

- لا شك في أنها سترغب يوماً ما في التعرف إليك.

- لم يحدث هذا بعد.

- اصبري! لم يمض وقت طويل على زواجك، والأمور تتغير.

- هذا ما أرجوه بكل تأكيد.

- ألست سعيدة؟

تحركت إميلي بضيق تحت نظرتها الحادة: «أشعر أحياناً بالحيرة بالنسبة إلى ذلك».

- هل تحبين زوجك؟

- نعم.

بان الرضى على وجه ميزي لجوابها وقدمت لها بعض الكعك فتناولت إميلي واحدة منها أخذت تقضمها شاردة الذهن. إن كل نفس تتنفسه هو لكي تبقى حية إلى أن تصبح بين ذراعيه.

- يبدو أنك متضايقة بعض الشيء، يا إميلي.

نظرت إميلي إلى المرأة بشرود. كانت ميزي تنظر إليها بإمعان، وقد بدت نظراتها المتفحصة وكأنها تخترق أعماقها.

- إنني متوترة قليلاً، لأنني أظن أن زوجي على علاقة بامرأة أخرى.

تأملت ميزي الشاي في كوبها قبل أن تضعه على الطاولة: «ما الذي جعلك تظنين هذا؟»

- أخبروني بذلك.

- لا يمكنك أن تصدقي كل ما يُقال. عليك أحياناً أن تتعلمي الثقة.

فقالت إميلي بيأس: «لا أدري ماذا أفعل. لم أحب أحداً منذ كان عمري أربع سنوات. ما الذي يفترض بي أن أفعله؟».

أمسكت ميزي بيد إميلي وهي تنظر في عينيها، ثم قالت: «أخبري زوجك بشعورك هذا».

رفعت إميلي إليها نظراتها المعذبة: «لماذا؟».

- لأنه...

وقطعت جملتها وعادت تحدّق في كوبها. وبعد صمت طويل عادت تقول: «لو تصرّفت حسب شخصيتك الحقيقية، لا يمكنه إلا أن يقع في غرامك.. دعيه يراك على طبيعتك».

غامت الصور أمام عيني إميلي. ما الذي جعل ميزي ماكري ترى أعماقها؟ كيف استطاعت هذه السيدة المسنّة أن ترى ما تخفيه. بحثت عن منديل ورقي في حقيبتها فلم تجد، وإذا بمضيفتها تدس واحداً في يدها وهي تقول: «خذي. إنني أؤمن بالدموع. الله يعلم كم بكيت في حياتي».

أخذت إميلي تشهق باكية في المنديل، ثم حاولت أن تتمالك نفسها وهي تقول: «أنا لا أبكي أبداً. إنني أكره البكاء. لأنني إذا بدأت بذلك لن أستطيع أن أتوقف أبداً».

- أفهمك.

- أحقاً؟ أحقاً تفهمينني؟

أومأت ميزي: «لقد ذرفت الكثير من الدموع ندماً على كل ما فعلته».

وأحست إميلي بالحكمة في كلمات هذه المرأة المسنة، فسألتها: «ما الذي ندمت عليه أكثر من أي شيء آخر؟».

نظرت ميزي إليها طويلاً: «أتمنى لو أنني لم أقع في حب رجل غير مناسب. لو أن هذا لم يحدث لما تأثرت حياة أعزّ الناس عليّ».

- زوجك؟

www.elromancia.com

هزت ميزي رأسها نفياً: «كلا».

- آه.

- الحياة لا تسير دوماً وفق مخطط محدد. فهي غالباً ما تنقلب وتتغير عندما لا تتوقعين ذلك.

- نعم. أعرف هذا.

سألتها ميزي: «أخبريني عن أسرتك».

فأجفلت إميلي: «ترك أبي البيت عندما كنت في الرابعة».

- وبعد ذلك؟

- عادت أمي فتزوجت أربع مرات. وفي كل مرة كان اختيارها أسوأ من قبل.

- وبعد ذلك؟

- كرهتهم جميعاً.

- لماذا؟

- لأنهم لم يحبوني. لأنني لم أكن إبنة أي منهم.

- هذا أمر هام بالنسبة إليك، يا إميلي. أليس كذلك؟

- نعم.

- حتى بعد هذه السنوات، ما زلت تهتمين لما يظنه الناس بك؟

فسألتها إميلي: «ألا يهتم الكل بذلك؟».

- وحدهم الذين لا يشعرون بالأمان يهتمون برأي الناس. أما السعداء فلا يهتمون مثقال ذرة.

تناولت إميلي كوبها، متظاهرة بشرب محتواه. بدأت تدرك أن ميزي ترى أكثر مما ينبغي بكثير. وبعد فترة صمت، قالت ميزي: «أريد أن أخبرك شيئاً».

مسحت إميلي دموعها ثم نظرت إلى ذات العينين السوداوين النافذتين التي تكلمت بلهجة بعيدة تماماً من النبرة الإسكتلندية التي كانت تميزها، بعد أن رفعت عن رأسها الشعر الرمادي المستعار لتكشف عن خصلات سوداء

تتخللها خيوط فضية: «أنا عمة داميين. روز مارغيت».

فتحت إميلي فمها مصعوقة، وسقط كوب الشاي من يدها. بدا على روز بعض الخجل وهي تقول: «أردت أن أتأكد من أن بإمكاني أن أثق بك قبل أن أطلعك على شخصيتي الحقيقية».

عاد ذهن إميلي بسرعة إلى الخلف، إلى ما كشفته روز. أخذت تفكر في أحاديثهما السابقة ثم راحت تجمع القطع لتكتمل الصورة.

وأخيراً قالت: «خطر لي أن فيك شيئاً غامضاً مألوفاً. بدا أن بإمكانك أن تري أموراً لا يراها أحد غيرك».

- رأيت فقط ما سمحت لي بأن أراه وهو ما كان عليك أن تريه لداميين منذ أسابيع.

اعتصر قلب إميلي يأساً: «لقد فات الأوان. فات الأوان تماماً».

فقالت روز: «ثمة أمور عن داميين عليك أن تعرفيها. داميين ليس أخاً حقيقياً لداني. كان والدهما على علاقة بامرأة أخرى، وجاء داميين نتيجة تلك العلاقة. وبما أن كورا لم تكن قادرة على الإنجاب، وافقت على أن تتخذه ابناً لها. لكنها ما لبثت أن حملت بداني. وأعتقد أن داني ليس من صلب دونالد فقد شعرت كورا بمرارة لخيانته وقررت أن تثأر منه».

فهتفت إميلي ذاهلة: «آه، يا إلهي!».

لا عجب في أن داميين لا يريدها أن تتطفل على أسرته لتلاً تطلع على مثل هذه الأسرار! وانعصر قلبها وهي تفكر في طفولته التعيسة التي لا تختلف كثيراً عن طفولتها.

- هل يعرف داني كل هذا؟

هزت روز رأسها نفياً: «لا. كان داميين قد سمع جدالاً بين والديه فجاء إليّ يلتمس النصح. لطالما كنا على علاقة جيدة».

- هل يعرف داميين أمه الحقيقية؟

- لم يحاول أن يتقصى الأمر. كان هذا ليثير اهتماماً بالغاً باسم مارغيت. سمعت بعض الشائعات منذ شهور، ولم أعتبر نفسي ممثلة لامعة

www.elromancia.com

إلى حدّ يمكنني أن أنتحل شخصية امرأة صحيحة الجسم. لم أشأ أن أسمع تعليقات مثل كم تدهورت... ما كنت لأستطيع احتمال ذلك.

فقالت إميلي: «كم أنا آسفة! ما كان لي أن أصمم على تأليف كتاب عنك».

- أنا لا ألومك. لقد تعمدت الخروج ذلك النهار لرؤيتك، آملة أن تساعدني اللهجة الإسكتلندية والشعر المستعار على إخفاء شخصيتي حتى أعرفك جيداً.

- كنت ماهرة جداً، لكن الشعور بأنني أعرفك تملكني.

- دونالد هو والد داميين، وكنت أنا توأمه. الشبه بين أفراد أسرة مارغيت قوي للغاية، ولهذا السبب أضع شعراً مستعاراً. لقد جئت من الريف منذ وقت قصير. وكان داميين قد جهز لي مسكناً آمناً منذ سنوات، لكنني قررت مؤخراً حديثاً الانتقال إلى هنا من أجل العلاج. وأكون شاكرة لو حفظت عنواني سراً.

- طبعاً سأفعل.

- لا تخبري أحداً أنك قابلتني، ولا حتى داميين، وخاصة داني.

- لماذا لا أخبر داميين؟

فكرت روز لحظة طويلة ثم قالت: «أظنه بحاجة إلى مزيد من الوقت ليعرفك أكثر. ليعرفك على حقيقتك».

وبعد أن غادرت إميلي منزل روز، استقلت الباص إلى «بوندي جانكشن» بدلاً من العودة إلى المنزل. كانت بحاجة إلى بعض الوقت للتفكير. لقد قدمت الممثلة الشهيرة أروع إداء في حياتها، وهي، إميلي شيروود مارغيت، وقعت في الفخ بحيث لم تميّز موضوع الكتاب الذي أرادت أن تؤلفه.

لم تستطع إلا أن تبتسم بأسى وهي تصعد إلى الباص. لقد خدعتها اللهجة الإسكتلندية. لماذا لم تعرفها رغم هذه اللهجة؟ بدا لها الشبه الأسري واضحاً الآن بعد أن أدركت الحقيقة. العينان السوداوان، الذقن العنيدة،

النظرات الثاقبة...

أرادت إميلي أن تشتري ثوباً ترتديه لحفل العشاء الليلة، أن تصفف شعرها. لم تشأ أن تفكر في داميين وعمته. لا بد أن داميين يكرهها لما حاولت أن تفعله، ولا عجب في أن يحاول شراء سكوتها.

كانت الساعة تقارب السادسة بعد الظهر عندما عادت إلى البيت فوجدت داميين في مزاج عكر. وما إن دخلت حتى زمجر قائلاً: «أين كنت بحق جهنم؟».

وضعت أكياس التسوّق جانباً، وأخذت تسوّي خصلة أفلتت من شعرها: «كنت أتسوّق».

- طوال النهار؟

طرفت بعينيها، بينما أردف: «إنني أحاول أن أتصل بك منذ العاشرة صباحاً حتى ظننت أنّ سوءً حدث لك».

- وقد خاب أملك من دون شك. لكني حيّة وبخير.

- كان عليك أن تتصلي بي.

- أي رقم؟ ليس لدي فكرة عن رقمك لأتصل بك.

دسّ يده في شعره: «آسف. الحق معك».

وتناول سترته وأخرج بطاقة عمل من محفظته سلّمها إياها.

ألقت على البطاقة نظرة سريعة قبل أن تدسّها في محفظتها وهي تقول: «حسناً، أصبحت أعرف بمن سأتصل إذا احتجت إلى نصيحة مالية».

ثم سارت نحو السلم.

- إميلي.

وقفت عند أول درجة والتفتت إليه.

كانت تحمل أكياس التسوّق تحت ذراعها النحيلة وعيناها تلمعان تمرداً، وشعرها العسلي الرائع يتحدى التصفيف، لينسدل بشكل مشعث على كتفيها. قال وهو يبتعد: «لا بأس. سأنتظرك في غرفة الجلوس».

أكملت طريقها، لتعود بعد أربعين دقيقة مرتدية ثوباً أبرز نحافة كتفيها

www.elromancia.com

واستدارة صدرها. وعندما وقفت أمامه، رمقها بنظرات استحسان: «تبدين رائعة الجمال».

- شكراً.

فتح لها الباب فمرت، واعية إلى عينيه تتبعان كل حركة منها.

مرت الرحلة في صمت مؤلم. وأخيراً، أوقف سيارته قرب المطعم ثم فتح لها الباب ليسيرا على الرصيف وقد تأبط ذراعها بحركة عفوية.

- الشركاء يعقدون اجتماعاً كل ثلاثة أشهر تقريباً، يتناقشون خلاله في مختلف شؤون العمل. والغرض من اجتماع هذا المساء هو دفع الأزواج والزوجات إلى توثيق علاقاتهم ببعضهم البعض. أرجو ألاّ تجدي الأمر مملاً.

- سأحاول أن أبذل جهدي.

نظر إليها، وهمّ بأن يقول لها شيئاً لكن سيارة توقفت أمامهما وترجّل منها رجل وامرأة ثم ارتفع صوت الرجل يقول: «داميين، لا بد أن هذه هي عروسك الفاتنة».

وامتدت يد ضخمة لتقبض على يدها تهزها. فيما وضع داميين ذراعه حول كتفها يجذبها إليه مرسلاً في جسدها رعشة: «هذا هوغو براند وهذه زوجته جين. وهذه هي إميلي».

سلّمت جين على إميلي بيد باردة، بينما وقف هوغو ينظر إليها باسماً ويقول: «لم أكن أظنك ستفعلها، يا داميين. انتظر فقط حتى ترى ولدين يركضان من حولك. أنت لا تدرك ماذا فعلت».

كافحت إميلي لئلاّ تحمر، لكن داميين ولحسن الحظ كان ينظر إلى مكان آخر. تبعت نظراته، فرأت رفيقين يقتربان منهما. كان الرجل طويلاً، أشقر، والمرأة جذابة أيضاً. لم تكن بطول الرجل، لكنها داكنة السمرة وذات قوام تتمناه كل امرأة لنفسها.

هتفت المرأة وهي تتقدم لتقبل وجنتيه: «داميين. تبدو رائعاً».

فقهقه الرجل الأشقر: «ليندا، لقد أصبح للرجل زوجة».

فقال داميين يقدمهم إلى بعضهم البعض: «أندريه وليندا جانسين. هذه زوجتي إميلي».

صافحت إميلي الإثنين والبشر في وجهها وكأنها مسرورة حقاً برؤيتها، لكنها شعرت بقلبها ينقبض.

إذن، هذه هي ليندا، عشيقته! لم يبد على ليندا أنها من نوع النساء العابثات، بل بدا أنها تحب زوجها بصدق. سارت إميلي في أثرهما متأبطة ذراع داميين، شاعرة بأنها في غير مكانها. ستكون أمسيّة طويلة مملة حقاً.

كان الطعام لذيذاً والخدمة رائعة، لم تستطع إميلي أن تتذكر لاحقاً نوع الطعام الذي تناولته.

أثناء العشاء، قال هوغو لإميلي: «أخبرني داميين أنك كاتبة. لم أقابل أي كاتب من قبل».

- الأمر ليس جميلاً كما يبدو، صدقني.

مالت ليندا من خلف جين تخاطب إميلي: «هل صحيح أنك ألغيت الكتاب الذي كنت تهمين بتأليفه؟».

أجابت إميلي وهي تلقي نظرة باتجاه داميين: «نعم. لقد عُرض عليّ مشروع أحسن من أن يُرفض... فقررت أن أقبله. التعويض حسن حتى الساعة، لكن قد يتبيّن أن هذا الخيار كان حماقة من جانبي».

- هذا غريب. هل تؤلفين كتاباً آخر الآن؟.

- لا. ليس حالياً. بل أفكر في تغيير مهنتي.

فهتفت ليندا: «ماذا ستفعلين؟».

- لم أقرر بعد. ما زلت أفكر.

فقال هوغو مخاطباً داميين: «هذه هي المشكلة مع نساء اليوم، يا داميين. إنهن ذكيات إلى حد لعين. ماذا حدث للواتي لم يكنّ يطلبن أكثر من مجموعة من الأطفال وبعض النقود كمصروف؟».

وأخيراً انتهى كل شيء، وكانت ليندا وأندريه أول من تحرك، تبعهما داميين. مدّ يده لإميلي قائلاً وهو ينظر إليها: «هيا يا حبيبتي. تبدين حقاً

www.elromancia.com

لأجل الفراش».

فقالت ليندا توبخه: «داميين. إنك جعلت الفتاة المسكينة تحمر خجلاً».

احتملت إميلي الأمر عن طيب خاطر رغم أنها كانت مصممة على أن توبخ داميين عندما ينفردان ببعضهما البعض.

سارت إميلي بجانبه، وحالما أصبحا وحدهما نزعت يدها من يده. سألها وهو يفتح لها باب السيارة: «ألم يعجبك الطعام؟ لم تأكلي كثيراً».

صعدت من دون أن تنظر إليه: «لم أكن جائعة».

- ما كان لك أن تدعي أشخاصاً مثل هوغو يكدرونك.. إنه لا يؤذي.

- لم أتكدر من هوغو.

ركز اهتمامه على حركة السير. وانتظرت منه أن يسألها عما كدّرها لكنه بقي صامتاً. وأخيراً سألته بحدة: «ألا تريد أن تسألني؟».

ألقى عليها نظرة سريعة، وقال: «أسأل ماذا؟»

تقبضت يداها على ركبتيها: «عن سبب تكدري طبعاً!».

فقال بجفاء: «المسألة واضحة. وجدت أن تمضية الأمسية معي أمر محزن، أليس كذلك؟».

صرفت بأسنانها وأجابته بحدة: «كلا. الشيء المحزن هو اضطراري لتمضية الأمسية مع عشيقتك».

- يبدو أنك ما زلت مقتنعة بتلك الحكاية القديمة! ولكن أخبريني. ألم تلاحظي أن زوجها كان يجلس بجانبها طوال الوقت؟

- هذا لا يعني شيئاً، فأنت كنت جالساً معي طوال الوقت. لكن هذا لم يمنع ليندا من العبث معك.

فقال بفروغ صبر: «ها قد أصبحت سخيفة».

- أخبرني أنك لست على علاقة بها. هيا، أخبرني.

- لن أسمح لهذا الحديث بالاستمرار. أنت لست متعقلة وقد بدأت أغضب.

- هذا حسن. داميين مارغيت الانطوائي على وشك أن يغضب لعدم

تمكّنه من ضبط مشاعره. كم هذا مضحك!

- حذار، يا إميلي، ربما لن تعجبك النتيجة.

أوقف السيارة في طريق البيت الداخلي، فنزلت على الفور من السيارة. ناداها لكنها تابعت طريقها إلى المنزل من دون أن تجيب. ولم تدرك أنها لا تحمل مفتاحها إلا بعد أن وصلت إلى الباب.

فتح الباب من فوق كتفها، ثم أدارها إليه لتواجهه: «لا أريد أن أسمعك تتحدثين عن ليندا جانسين بمثل هذه الطريقة بعد الآن، هل هذا مفهوم؟».

رفعت وجهها إليه وعيناها الزرقاوان ترفضان إرهابه: «لماذا؟ هل يجعلك ذلك تشعر بالذنب؟».

كبح غضبه بجهد وهو يقول: «لن أكرر ما قلته مرة أخرى».

- ما الذي ستفعله داميين... حبيبي؟ ستجرّني إلى المحكمة؟

فقال وهو يمسك بها قبل أن تهرب منه: «كلا. بل سأحملك إلى السرير».

www.elromancia.com

١١ - ثعلب ماكر

كان عليها أن تكافح، أن تقاوم لكنها لم تفعل. ما إن ضمها بين ذراعيه حتى اكتسحتها دوّامة مدمرة من المشاعر المحمومة التي ليس لها سوى نهاية واحدة.

قال وهو يبتعد عنها وقد ثقلت أنفاسه: «كم أنت لذيذة. لذيذة إلى حد لا يصدّق».

بعدئذ، استلقى واضعاً ذراعه على عينيه فيما توجّهت هي إلى الحمام.

اغتسلت وغسلت أسنانها، راجية أن تجده نائماً عند خروجها. مشاعرها المحمومة نحوه أحرجتها اذ يفترض بها أن تكرهه.

خرجت من الحمام لتجده جالساً مستنداً إلى وسائده، يتصفح كتاباً. وعندما اقتربت من السرير وضعه من يده، وقد بدت على وجهه مسحة من السخرية وهو يسألها: «هل أزلت كل أثر لوجودي الكريه، يا إميلي؟».

انتصبت إميلي وواجهت لمعان التقريع في عينيه، وقالت: «أنت تجلس في مكاني من السرير».

- أحقاً؟

ووضع يديه خلف رأسه في حركة تحدٍ.

- أنت تعلم أنك تفعل هذا.

ووقفت عند أسفل السرير وحملقت فيه متابعة: «أنت تتعمد هذا لكي تضايقني».

- لماذا لا تأتين وتدفعيني إلى مكاني؟ لنمرح قليلاً.

- هيا، تنحّ جانباً.

- تعالي يا حلوتي، لنمرح قليلاً. من يعلم؟ قد لا يتملكك الملل بعد قضائك ستة أشهر معي.

- لن أعيش طوال هذه الفترة. سأقتل نفسي.

قهقه ضاحكاً فحوّلت عينيها عنه.

قال يغيظها: «كم هذا مثير. هيا، اصعدي إلى السرير ونامي بعض الوقت. تبدين كطفلة أجبروها على أن تسهر...».

سارت إلى أعلى السرير حيث رفعت الملاءة بغضب، واستلقت متصلبة الجسم، وقد أولته ظهرها، مبتعدة قدر إمكانها عن الدفء والإغراء المنبعث منه.

مرت الأسابيع الثلاثة التالية ما بين ضباب النهار الخفيف ومشاعر الليل المحمومة، وساد بينهما ما يشبه الهدنة الصامتة. كان داميين يغادر البيت إلى العمل قبل أن تستيقظ من النوم، ويعود في المساء ليجدها قد ارتدت ملابسها للعشاء. كانا يتناولان عشاءهما في البيت أحياناً، وفي الخارج أحياناً أخرى. وكانت تزور روز من حين إلى آخر، لكن الجهد الذي بذلته للاحتفاظ بعلاقتها بروز سراً كلفها الكثير على حساب أعصابها.

حرصت على الحفاظ على تهذيبها مع داميين.. لكن، مع نهاية الأسبوع الثالث، بدأت تتوتر. لم تكن معتادة على هذا الفراغ في حياتها، ما جعلها ترد عليه بحدة عندما سألها صباح الجمعة عن برنامجها لهذا النهار: «لا شيء».

نظر إليها متفحصاً وهو يعقد ربطة عنقه: «لماذا لا تأتين إلى مكتبي لتتناول الغداء معاً؟ سأريك المكاتب وأقدّمك إلى الموظفين».

رفعت كتفها: «سأفكر في ذلك».

- اتصلي بي قبل الثانية عشرة.

- سأرى.

طبع قبلة سريعة على خدها: «كما تشائين. أخبريني بقرارك. أنا على عجلة من أمري، كوني طيبة».

www.elromancia.com

وبعد أن سمعت صوت سيارته يبتعد، قفزت من سريرها وقد فاجأها غثيان كريه. ولم تكد تصل إلى الحمام حتى بدأت تتقيأ ما كان في معدتها.

وبعد فترة، غسلت وجهها وعادت إلى السرير حيث استلقت حتى تبدد الدوار. لكن ذعرها ازداد. كيف غدر بها جسدها بهذا الشكل؟ أرادت أن تلوم داميين لكنها كانت تعلم أن الذنب ذنبها هي. أولاً، ما كان لها ألاّ تأخذ حبوب منع الحمل.

عادت تجر نفسها إلى الحمام. عليها أن تتأكد من ذلك أولاً...

وصرخت وهي تحدق في صورتها في المرآة: «يا إلهي! ماذا عليّ أن أفعل؟».

حدّقت إميلي إلى الاختبار في يدها وتملكها الذعر وهي ترى الحمل يتأكد. إنها حامل بطفل... طفل داميين.

تمنت لو بإمكانها أن تخبر أحداً... أحداً يطمئنها إلى أن الأمور ستنتهي على خير، لكنها لم تجد أحداً. فكرت في الاتصال بروز، لكنها غيرت رأيها في آخر لحظة. فصداقتها معها ما زالت في بدايتها، وهي لا تريد تحميلها عبء مشاكل لا يمكن حلّها.

عليها أن تواجه الأمر وحدها. ليس لديها أي خيار آخر، فهي لا تستطيع أن تخبر داميين. يمكنها ربما أن تختفي من حياته، أو أن تدّعي بكل بساطة أنها وجدت رجلاً آخر.

وارتجف قلبها وهي تفكر في رد فعله. فقد اكتشفت في الأسابيع القليلة التي أمضياها متزوجين أنه يحب اتخاذ القرارات بنفسه...

استقلّت إميلي «الحافلة» إلى حديقة «سلتينال بارك» العامة، حيث راحت تفكر في ورطتها. بعثت ظلال الأشجار الهدوء في نفسها إلى حد جعلها تدرك أن عليها أن تهتم بنفسها من الآن فصاعداً.

نظرت إلى ساعتها، فرأت أنها تقارب الثانية عشرة، وتساءلت عما إذا كان عليها أن تقبل دعوة داميين على الغداء. لم تفكر في أن تحضر هاتفها الخلوي معها، لكنها تعرف المبنى حيث مكتبه فقررت أن تقصده شخصياً.

لم تعرف ما الذي جعلها تقف عند إشارة السير، فقد اعتادت أن تركض وتشق طريقها بين الجموع. لكنها، هذه المرة، لم تفعل.

رأت داميين أولاً. كان أمام المدخل الرئيسي، منحنياً يتحدث إلى شخص جالس في مقعد السائق في سيارة رياضية. تعالى صوت أبواق السيارات خلف السيارة المرسيدس اللامعة بينما إميلي تنظر بهلع إلى ليندا جانسين التي أخرجت رأسها من النافذة لتقبله. وبعد لحظات، تراجع داميين إلى الخلف وهو يلوّح لليندا بيده فيما ارتسمت على فمه ابتسامة دافئة.

استدارت إميلي مسرعة في الإتجاه المعاكس، وقلبها يخفق ألماً. التفتت إلى الخلف فتملكها الارتياح وهي ترى صفاً من «الحافلات» يسد الرؤية.

صعدت متعثرة إلى أول «حافلة»، من دون الاهتمام بوجهتها. جلست راجية ألاّ تشعر بالغثيان، وهي تتساءل كيف ستواجه داميين في آخر النهار.

وصلت الحافلة إلى «وارينغاه مول» حيث أمضت فترة العصر تجول بين الطوابق من دون هدف. كانت جالسة في أحد المقاهي تحدق إلى الطعام الذي لم تمسّه، عندما شعرت بظل يمرّ فوقها.

جرّ داني مارغيت كرسياً ليجلس أمامها وهو يهتف: «إميلي. ماذا تفعلين هنا؟».

نظرت إليه مصعوقة: «أنا... أنا أتسوّق».

نظر إلى الأرض فلم يرَ أيّ أثر للأكياس. علّق: «لا أراك ناجحة تماماً».

- ليس لدي مزاج للشراء اليوم.

- كيف حال داميين؟ هل يجعلك مشغولة على الدوام؟

لم تهتم بكلماته الوقحة وأجابت: «بخير».

- لا تبدو عليك السعادة لرؤيتي، لكني أملك شيئاً كلّي ثقة في أنك ترغبين في الحصول عليه.

حدّقت إليه ثم سألته: «ما هو؟».

فقال وهو يأخذ قطعة الخبز من طبقها ويقضمها: «إنها مفكرة».

www.elromancia.com

- مفكرة من؟

سكت للحظات، ثم قال: «مفكرة روز».

حدقت إليه غير مصدقة: «هل ستعطيني مفكرة روز؟»

لم تصل ابتسامته إلى عينيه: «بثمنها».

فقالت ساخرة: «طبعاً».

- إذا رفضت أن تأخذيها فسأقدمها لشخص آخر. ثمة شخص في ذهني.

- مارشا مونغورد.

وشعرت بالغثيان وهي تفكر في أن داميين وروز سيتعرضان لهذه التجربة على يد كاتبة مثل مارشا.

سألته: «كم تريد؟».

- كم تستطيعين أن تدفعي؟

أخذت تفكر. لم تشأ أن تدعه يهدم حياته أخيه وعمته بمثل هذه الطريقة الحقيرة. قالت: «عليّ أن أفكر في الأمر. سأتصل بك يوم الإثنين».

بدا لمعان النصر في عينيه: «وأنا بالانتظار».

ووقف وناولها بطاقة عمل: «لدي شقة جديدة في «بوندي». تعالي لرؤيتي عصر يوم الإثنين، عند الساعة الثانية».

أخذت منه البطاقة وقد انتابها شعور بالتقزز. شعرت وكأنها داست لتوّها على فخ نصب لها بعناية، لكن الأوان فات الآن على الخروج منه.

لوّح لها داني بيده قبل أن يتوارى بين الجموع. أخذت تحدّق في البطاقة في يدها، ثم تساءلت عما إذا كان هذا النهار يمكن أن يسوء أكثر. بدا هذا غير ممكن، لكنها كانت مخطئة.

كانت زحمة السير خانقة، وخطر لإميلي أن تكمل طريقها سيراً على الأقدام.

عندما وصلت إلى باب المنزل، كان الإرهاق قد تملكها، والظمأ البالغ سبب لها صداعاً. كانت الساعة تقارب السابعة ولا بدّ أن داميين بدأ يتساءل أين تكون. وقبل أن تجد مفتاحها، انفتح الباب ليطل زوجها، وعيناه

البنيتان القاتمتان تشملانها من رأسها حتى قدميها.

قال ببطء: «أظن أن سؤالي أين كنت مضيعة للوقت؟».

مرّت بجانبه وهي تقول: «يمكنني أن أطرح عليك السؤال نفسه».

- كنت في المكتب طوال النهار أنتظر اتصالاً منك.

فالتفتت إليه قائلة بعذوبة ساخرة: «هل كان يوماً مجهداً في المكتب يا حبيبي؟».

قطّب وهو يتأمل مظهرها المشعث، وقال: «يبدو أنك لست في مزاج حسن. هل من خطب؟».

أوشكت أن تصرخ في وجهه: نعم... أنا حامل بطفلك، لكنها سرعان ما ابتلعت كلماتها. لم يكن الوقت مناسباً لإلقاء هذه القنبلة بالذات.

- إني أعاني من الحرّ والتعب. كما أن لدي صداعاً.

وتابعت بصمت، أنها رأته مع عشيقته في وسط المدينة وأن أخاه حشرة تافهة يمكن أن يبيع أبويه بدولار.

- لماذا لا تستحمين بينما أحضر لك الأسبرين؟

أومأت شاكرة ثم تابعت صعود السلم.

كانت تجفف شعرها حين دخل عليها الحمام حاملاً كأس ماء وحبتين من الأسبرين.

لفت شعرها بالمنشفة وتناولت منه كأس الماء. كانت ترفعها إلى فمها عندما انحنى يلتقط شيئاً عن الأرض قرب الحوض. سألها: «ما هذا؟»

نظرت بذعر إلى العلبة المكرّشة في يده، وكان فيها اختبار الحمل الذي أجرته في الصباح.

١٢ - لقد هزمتك

جمدت إميلي مكانها.

فتح داميين العلبة ثم نظر إليها طويلاً، قبل أن يعود فيكرّشها ويقذفها إلى سلة المهملات. وعندما التفت إليها كان وجهه غامضاً.

قالت بضيق وهي تتنحنح: «كنت سأخبرك. أنا حامل».

فقال وعيناه تخترقان أعماقها: «أظنك قلت إنك تتناولين حبوب منع الحمل؟».

خفضت بصرها بينما تابع: «أظنه من عدم التهذيب أن أسأل، ولكن... هل الطفل مني أنا؟».

شعرت بغليان في داخلها بسبب السخرية في صوته. وقالت راجية أن يرى مدى ألمها: «ماذا تظن؟».

أخذ نفساً عميقاً فيما بدت الصرامة في نظراته: «أنا لم أحلّ مشاكلك المالية فقط، أليس كذلك؟ بل زودت طفلك غير الشرعي بعش آمن مناسب. هل يعلم داني بذلك؟».

هزّت رأسها نفياً ودموعها على وشك الانهمار لافتراضه أن هذا الطفل ليس من صلبه. هل رأيه فيها سيء إلى هذا الحد إلى حد أن تستغلّه بهذا الشكل؟

وعندما لم تتكلم نظر إليها باحتقار: «لا أصدق أنك نجحت في ذلك. وأنا الذي كنت أظن أنني هزمتك وأبطلت مناوراتك، وجدت نفسي أقع في الفخ».

- داميين، أنا لم أقصد قط أن...

فقاطعها بحركة من يده وهو يقول: «أنا؟ ومن بين كل الناس، يا لسخرية القدر! هذا أمر لا يصدّق».

- الأمر ليس كما تظن...

- لا تحاولي أن تتهربي من هذا. كان ينبغي أن أرى ما يحدث لكنني لم أفعل. بصراحة، لم أكن أظنك بهذه الحقارة. لكن هذا يبرهن على مدى انخداعنا نحن الرجال. كان عليّ أن أدرك أني سأدفع ثمناً غالياً للمتعة التي حصلت عليها معك.

وشملها بنظرة بعثت القشعريرة في جسدها وهو يسألها: «متى ستحين الولادة؟».

لم تستطع إميلي، وهي في حالتها التعيسة هذه، أن تفكر في أمر كهذا. فقالت: «لست.. لست واثقة. لا أدري كم مضى عليّ».

استدار وضرب الجدار قرب الباب بقبضته فانكمشت للعنف في حركته هذه. اتسعت عيناها بحذر، فهي لم تره يخرج عن طوره بهذا الشكل قط من قبل، ما أخافها. قالت بصوت مختنق: «أرجوك، يا داميين. إصغ إليّ. أرجوك».

ابتعد عن الجدار وعاد يواجهها وعيناه بحيرتان متوحشتان من الكراهية، وقال: «أريد أن أنفرد بنفسي فترة. لا تنتظريني».

أخذت تنظر إليه وهو يغادر، وقلبها يتحطم مع كل خطوة تبعده عنها.

سمعت صوت الباب الخارجي، ثم هدير سيارته اللامبورغيني وهو يندفع خارجاً من طريق المنزل بسرعة فائقة وكأن نيران جهنم تلاحقه.

جلست على الأرض ووضعت رأسها بين ركبتيها. لا يمكنها أن تفعل شيئاً، فقد سبق واتخذ قراره.

تكوّرت إميلي في الفراش، ثم استسلمت لنوم متقطع، إلى أن سمعت صوت سيارة داميين تعود. بعدئذ، سمعت حركته في الطابق السفلي، فأجبرت نفسها على الخروج من السرير. تناولت عباءتها وسارت إلى المطبخ لتحضر شيئاً يوقف الغثيان.

www.elromancia.com

كانت تحدق إلى داخل الثلاجة عندما سمعت صوت داميين من خلفها: «هل يمكنني أن أعدّ لك شيئاً؟ خبزاً محمصاً أو بيضاً؟».

لم تجد في صوته أي أثر لغضبه الماضي.

أغلقت إميلي باب الثلاجة ونظرت إليه. رأت حول فمه الحازم خطوطاً من التوتر، أما ملامحه فبقيت جامدة.

توجّهت نحو محمصة الخبز: «أريد خبزاً محمصاً».

فتقدم قائلاً: «سأحضره لك. إبقي مكانك».

جلست على أقرب مقعد وأخذت تنظر إليه وهو يضع الخبز في المحمصة، ثم يقف جانباً وقد شبك ذراعيه على صدره. قال: «يجب أن أعتذر عن تصرفي ذاك».

قالت وهي تنظر بعيداً، خائفة من أن تنفجر بالبكاء: «لا يهم»..

- بل يهم. لم أحسب حساب تأثير ذلك فيك في هذه المرحلة.

- ماذا تعني؟

إستدار يخرج الخبز من المحمصة ليدهنه بزبدة أحضرها من الثلاجة: «كنت أفكر في تأثير هذا الخبر فيّ، وآسف لعدم تفكيري في تأثيره فيك».

بقيت إميلي، كعادتها، صامتة بعجز.

- لا أظنك خططت لهذا الحمل مسبقاً؟

هزت رأسها نفياً.

- ماذا تريدين أن تفعلي إذن؟

-أنا... أنا لم أصل بتفكيري إلى هذا الحد.

- ألا تنوين أن... تتخلصي منه؟

- طبعاً لا.

وانتزعت من يده الخبز المحمّص الذي كان يقدمه لها ثم أشاحت عنه وهي تتابع: «الذنب ذنبي. أنا من عليه أن يتحمّل النتائج وليس هذا البريء».

- لا أظن أنّ عليك أن تخبري داني. ليس الآن على الأقل. لا أظنه سيتقبل الأمر بشكل جيد.

أخذت إميلي تعبث بالخبز في صحنها بغيظ. أعطاها وعاء العسل وسكيناً ما جعل أصابعهما تتلامس لحظة قصيرة فجذبت يدها بعيداً وكأنها النار لسعتها.

قال: «أكره أن أحطم صورة والد طفلك المنتظر، لكن أهداف داني الأولى في الحياة هي ربح المال على حساب أيّ شخص آخر».

- ليس داني هو...

فقاطعها: «أعرف ما ستقولينه، فقد سمعته من الفتيات اللاتي عرفهن في الماضي. كان عليّ أن أدفع مبالغ ضخمة، تعويضات كبيرة لهن».

اعتصر قلبها: «لكنني لم أكن، بالنسبة إلى داني...»

- بصراحة، التفاصيل لا تهمني ومن الأفضل لك أن تتجنبيه. لماذا لا تجعلين الطفل ابناً لي؟ لا أحد سيشك في الأمر.

وفكرت بيأس بأن هذا صحيح. لا أحد ما عداه. وشرعت بالاحتجاج: «لكنه...».

رفع يده يمنعها من المتابعة: «لا. أنا أصر على ذلك. سيسرني أن أربي طفل رجل آخر. فسيساعدني هذا على أن أرى موضوعاً قديماً ما انفك يزعجني... أراه بأبعاده الصحيحة».

- ... أريد أن أشرح لك...

أمسك بيدها يمنعها من الاعتراف: «أرجوك. أنا أصرّ على ذلك. نحن راشدان ويمكننا أن نعالج الأمر معاً».

فصرخت: «لكنك لا تفهم».

- بل أفهم، أكثر مما يمكنك أن تعرفي.

قالت بانهزام: «أنا متعبة للغاية».

فقال وهو يمسكها بيدها لتقف: «هيا. دعيني آخذك إلى السرير حيث مكانك الحقيقي».

اتكأت عليه شاكرة، وقد منعها التعب من أن تتكلم. كانت الأفكار تتراكم في رأسها. كيف يمكنها أن تثبت أن الطفل من صلب داميين؟ هل

www.elromancia.com

سيوافق على إجراء اختبار الـ«د. ن. إ»؟ ماذا سيقول عندما يعرف الحقيقة؟ أم أن ذلك سيكون بعد فوات الأوان؟ ألم يقولا ويفعلا أكثر مما ينبغي؟

انسلّت بين الملاءات الباردة وأغمضت عينيها. شد داميين الغطاء فوقها ثم وقف بجانب السرير يفكر لحظة قبل أن يقول: «كان علينا أن نستدعي طبيباً لكي يفحصك».

- أنا بخير صدقني.

- أنت لا تأكلين جيداً. أخذ الهزال يبدو عليك منذ تزوجنا. عليك أن تفكري بالطفل.

- أعرف هذا. سأحاول..

ودست وجهها في الوسادة، وهي تتنهد و تغمض عينيها. كان جسمها مصراً على النوم رغم عذاب ذهنها. وانتصر جسمها فغفت، غافلة عن نظرات زوجها الحادة القلقة الذي وقف ينظر إليها.

وفي الصباح باغتها الغثيان بعنف. وعندما أخذت تتقيأ فوق الحوض، أدركت أن داميين يقف خلف الباب يصغي إليها.

- افتحي الباب، يا إميلي.

تقيأت مرة أخرى ثم شهقت وقالت: «أنا... لن أتأخر».

- افتحي هذا الباب اللعين.

حملت منشفة بيد وفتحت الباب بيدها الأخرى. وثارت في وجهه: «هل من غير المسموح أن أنفرد بنفسي؟ لست بحاجة إلى متفرجين في هذه اللحظة».

دخل إلى الحمام، قائلاً: «ما كان لك أن تقفلي الباب. قد يغمى عليك فتؤذين نفسك».

فأجابت بحدة: «وما همك أنت؟ عندئذ تنتهي مشاكلك كلها، أليس كذلك؟».

توترت شفتاه وهو ينظر إلى وجهها الشاحب، ملاحظاً الظلال حول عينيها وارتجاف شفتها السفلى.

- إميلي...

ووضع يده على كتفها لكنها ابتعدت عنه بجفلة.

- عفواً...

وانحنت مرة أخرى فوق المغسلة فأجفل للصوت التعيس الذي صدر عنها وهي تتقيأ.

- آه، يا إميلي.

وأخذ يمرر يده على ظهرها بحنان.

- سأصبح... بخير بعد دقيقة.

غسلت وجهها، فناولها منشفة دفنت وجهها فيها. وقال: «ربما كان عليّ أن آخذك إلى طبيب».

فأجابت وهي تلقي بالمنشفة في سلة الغسيل: «لا. أريد فقط بعض الخبز المحمّص. سيمر هذا في خلال دقائق».

- عودي إلى السرير وسأحضر لك الخبز.

عادت إميلي إلى السرير تنتظر عودته شاعرة بالدفء لعطفه هذا. لكنها عادت وذكرت نفسها بأنه لا يفعل سوى ما قد يفعله أي شخص آخر يرى إنساناً يتألم.

عاد داميين بصينية عليها شاي وخبز محمص ووضعها على ركبتيها: «هاك! إنه فطور في السرير».

- شكراً.

وأخذت تقضم قطعاً صغيرة من الخبز، شاعرة به يراقبها.

قال وهو يجلس على حافة السرير: «فكرت في الخروج معاً إلى مكان ما، اليوم. هذا إذا كنت تشعرين بتحسن».

ابتلعت ما في فمها ثم سألته: «إلى أين تفكر في الذهاب؟».

- ما رأيك في تناول الغداء في مقهى في «بوندي بيتش»؟ ثم نتمشى إلى «برونت»؟ يمكننا أن نأخذ معنا ملابس السباحة. الهواء النقي سيفيدك.

تساءلت إميلي ما إذا كان الذهاب إلى «بوندي» فكرة حسنة. لم تشأ أن

تصادف داني، لاسيّما وهي برفقة داميين. قالت مراوغة: «أنا لست ماهرة في السباحة. كدت أغرق بسبب موجة منذ سنوات. أنا أكتفي الآن بوضع أصابع قدميّ في الماء».

- سأكون معك. إرتفاع الموج قليل اليوم.

أدركت أنه يحاول جهده كي يسترضيها ووجدت صعوبة في مقاومة لطفه هذا. كانت هذه ناحية منه لا تعرفها وتريد المزيد منها.

- حسناً، سآتي معك.

كان شاطىء «بوندي بيتش» خليطاً من الألوان والنشاط. جلسا في أحد المقاهي حيث أخذت إميلي ترشف عصير البرتقال الطازج فيما ساد بينهما صمت مريح. حاولت أن تسترخي أكثر في حضوره، وقد شعرت بأن عليها هي أيضاً أن تبذل جهداً أكبر لتصفية الجوّ بينهما.

- تبدين أحسن حالاً الآن.

- إنها بداية نهار تعيسة، لكنني سمعت أنها لا تدوم سوى بضعة أسابيع.

- هذا ما أرجوه، وإلا فسيصيبك الهزال حتى تصبحي كالظل. إنك الآن هزيلة.

- سيزداد وزني قريباً.

تململ في كرسيه وهو يقول: «إميلي. أظن أنّ علينا أن نتحدث عن مستقبلنا».

كانت واثقة من أنه سيخبرها عن نيته في إنهاء زواجهما. لقد انتهت الاتفاقية ونال ما يريده... فالكتاب لن يكتمل أبداً. ما من فائدة من متابعة تأليفه، لاسيّما بعد أن اقتنع بأنها حامل من أخيه. هل فات أوان إخباره بالحقيقة؟ كل ما عليها أن تقوم به هو أن تفتح فمها وتنطق بالكلمات. لكنها، ولسبب ما، لم تستطع. لم تشأ أن تربطه بها بسبب الطفل. فهي تريده أن يحبها لنفسها... وليس لسبب آخر.

نظرت إليه وهي تضغط بأصابعها على كأس العصير لتوقف ارتجاف يدها.

قال: «لسنا بحاجة لأن نستمر في هذا الترتيب، فهو غير مناسب في هذه الظروف».

خفضت بصرها: «أتفهم موقفك».

- لقد أرغمتك على القبول. وليس من الإنصاف أن أتوقع منك الاستمرار فيه.

تنحنحت ثم قالت: «متى... متى تريدني أن أغادر المنزل؟».

- ماذا؟

رفعت بصرها إليه فرأت الحيرة على ملامحه... فقالت: «يمكنني أن أعود إلى شقتي. وإذا لم يشأ المستأجر أن يتركها، فيمكنني أن أستأجر شقة أخرى».

- إميلي. أنا لا أفهمك. ما هذا الكلام عن مغادرتك المنزل؟

وجاء دورها لتصاب بالحيرة، فسألته: «أليس هذا ما تريده؟ أن نفسخ الزواج؟ أو الترتيب كما سمّيته؟».

- لم أكن أتحدث عن إنهاء زواجنا.

- لا؟

- لا. كنت أتحدث فقط عن اتفاقية الأسابيع الستة. لقد ألغيتها.

نظرت إليه من دون أن تفهم: «ألغيتها؟».

فقال: «لقد اختلف الوضع الآن. ستحتاجين إلى مساعدة في الشهور القليلة القادمة».

حدقت إليه ثم سألته: «تريدني أن أبقى؟ إلى متى؟».

فهزّ كتفيه: «حسب ما يتطلب الأمر. ليس من السهل أن تربي الطفل وحدك. أظن أن علينا أن نؤمن له بيتاً مستقراً».

جاهدت إميلي كي تفهم. أتراه يريدها أن تبقى زوجة له؟

وسألته: «لماذا تفعل هذا؟ اتهمتني بنصب فخ لك، فلماذا تلف حبل المشنقة حول عنقك؟».

نظر إليها طويلاً: «كما قلت أنت الليلة الماضية، لماذا نعاقب الطرف

www.elromancia.com

الوحيد البريء بيننا؟ ليس لهذا الطفل علاقة بالمؤامرات التي جعلتنا نتزوج. ولهذا السبب، سيستمر الزواج لكي ننشئه ونحميه».

- هل لدي أي خيار في الأمر؟

- سبق لك أن قمت بخيارك. اخترت أن تتزوجيني، وأنا سألزمك بهذا الخيار.

- بالقوة؟

فقال بعناد: «لا، بل بإصراري على أن تتحمّلي المسؤولية».

- لا أدري ما الفائدة التي ترجوها من ارتباطك بي، فرأيك بي لا يؤدي إلى زواج سعيد لاسيّما على المدى الطويل.

- لعل هذا صحيح. لكن علاقتنا الجسدية جيدة.

احمر وجهها وتناولت شطيرة تخفي بها خجلها، ثم أخذت تأكلها ليعفيها هذا من الجواب.

قال: «ظننتك ستكونين مسرورة. على أيّ حال، أليس هذا ما خططت له منذ البداية؟».

- أنا لم أخطط لشيء.

أطلق ضحكة تثير الغيظ، فقالت بحدة: «هذا الحوار كريه للغاية».

- سترينه كذلك طبعاً. لكن الوقت حان لنواجه نتيجة تصرفاتنا.

- أنت نفسك غير بريء. ألم تفكر في أن هذا الطفل قد يكون ابنك فعلاً؟

ألقى عليها إحدى تلك النظرات الطويلة المتفحصة التي تقلقها، ثم قال: «بل خطر هذا في بالي، لكنني سرعان ما استبعدته»

وسألها فجأة: «هل رأيت داني مؤخراً؟»

فأجابت كاذبة: «كلا. أنا واثقة من أنه مشغول بخطيبته لويز».

فقال لها بفتور: «علاقتهما انتهت مع الأسف. أظن أنّ لويز عرفت بوضع داني المالي، فهو يعاني من مشاكل مادية».

- ولهذا يأتي إليك طلباً للنصيحة؟

- إنه يقصدني ليأخذ مالاً، وليس نصائح.

- وهل تعطيه المال؟

- ليس دائماً.

وسرعان ما بدّل الموضوع بقوله: «هل ستتصلين بأسرتك لتخبريهم عن الحمل؟».

- كلا.

ألقى عليها نظرة ثاقبة: «أنت انطوائية جداً. هل في هذا حكمة؟».

- أحب أن أكون مستقلة. هذا أقل ضرراً.

- من سبّب لك الضرر؟ والداك؟

نهضت إميلي وقالت: «أشعر برغبة في السير الآن. سأنتظرك في الخارج».

أخذ ينظر إليها وهي تشق طريقها بين الموائد لكي تقف متأملة البحر الأزرق، ثم ما لبث أن تنهد وتناول قائمة الحساب ليدفع ثمن غداء لم تكد إميلي تمسّه.

www.elromancia.com

١٣ - تضامن نسائي

سارا بصمت إلى شاطىء «برونت بيتش». لم يكن لدى أي منهما ميل إلى الحديث، راضيين بمجرد الاستمتاع بالمنظر وبالنسيم الذي كان يخفف من حرارة الجوّ في ذلك اليوم الربيعي الحار.

وعندما تعثرت على الرصيف غير المنتظم، أمسك بيدها فلم تقاوم. تصورت أن من السهل أن يظنهما المارة حبيبين، إذ لم يكن في مظهرهما ما يشير إلى التوتر السائد بينهما. لكنها، في الواقع، كانت تتألم في سرّها لظنه ذاك فيها. وبدا لها أن تغيير رأيه فيها غير ممكن.

- هل تحبين أن تسبحي قليلاً؟.

نظرت إلى الخليج: «إنها فكرة جذابة حقاً».

فقال وهو يناولها بذلة السباحة ومنشفة من حقيبته: «هيا، إذن. غيّري ملابسك وسأوافيك هنا بعد خمس دقائق».

سارت إميلي إلى غرفة تغيير الملابس حيث لبست «ثوب السباحة». نظرت إلى بطنها التي ما زالت مسطحة وتساءلت متى سيصبح حملها ظاهراً؟ لم تتخيّل أن في بطنها طفلاً ينمو، وخطر لها أنه ينبغي أن تظهر عليها المزيد من العلامات كتألق في ملامحها، وهالة من البهجة واضحة للآخرين. لكن كل ما تشعر به هو الارتياب، والخوف، والقنوط.

لعل الذنب في هذا ذنبها، فقد كانت طيلة الوقت الذي أمضته معه، شرسة ومشاكسة، تحاربه عند كل التفاتة منه. يا لسخرية القدر الآن وقد أدركت كم تحبه ومدى عجزها عن إقناعه بتغيرها! . . . إنه يظن أنها احتالت عليه لتوقع به وتجعله يمنحها وطفلها البيت والأمان.

قابلته أمام غرفة تغيير الملابس، فتأملها بنظرة إعجاب وأخذ منها ثيابها ووضعها في حقيبة ظهره، بينما أخذت هي تمتع نظرها بمشهد قامته الطويلة وعضلاته القوية.

مدّ إليها يده: «هيا بنا».

تبعته إلى الأسفل وهو لا يزال ممسكاً بيدها. وعندما أحاطت المياه بكاحليها ترددت، فتوقف والتفت إليها مشجعاً: «هيا. سأبقى قربك ولن أدعك تبتعدين».

سمحت له بأن يقودها نحو الأمواج، متمنية من كل قلبها ألاّ يدعها تبتعد عنه أبداً.

إنها تريد أن تبقى بجانبه إلى الأبد، فيواجهان كل ما في الحياة معاً . . . وخصوصاً مولد طفلهما.

صرخت رعباً عندما ارتطمت الأمواج الباردة بها، وقالت له: «هذا يكفي. لا أريد أن أبتعد أكثر».

فقال مداعباً وهو يجذبها إلى مكان أعمق: «أين شجاعتك وحيويتك؟ ثمة موجة جيدة قادمة. أديري لها ظهرك واقفزي».

فعلت كما علّمها وضحكت عندما انهار جدار الماء على وركيها ثم صرخت مرة أخرى: «إنه بارد».

- تلك موجة أخرى . . . انتبهي!

استدارت إميلي فغمرتها الموجة، لكن يد داميين بقيت تمسك بها بقوة. أزاحت شعرها عن عينيها وابتسمت له فبادلها الابتسام قائلاً: «سنغطس تحت الموجة التالية».

حدقت إلى الأمواج المتكسرة وقالت: «لن أذهب إلى هناك».

- انظري خلف تلك الموجة . . . ما من شيء، سوى المياه الهادئة.

تشبثت بيده وسمحت له بأن يقودها.

قالت بحماسة وهي تشق المياه بجانبه: «لم أبتعد في المياه إلى هذا الحد قط من قبل. لطالما كنت أخاف».

www.elromancia.com

– أنت تثقين بي، أليس كذلك؟.

انتظرت حتى رفعتهما الموجة التالية ثم قالت: «لكنك لا تثق بي وهذا ليس إنصافاً، ألا تظن ذلك؟».

– الثقة كالاحترام. عليك أن تكتسبها بنفسك.

فقالت وهي تدفع قطعة من الطحالب البحرية من أمامها: «من الصعب جداً أن يكتسب شخص احترام شخص آخر لديه فكرة مسبقة عنه ونفور منه».

– بذلت قصارى جهدك لكي تغرسي ذلك النفور وأخشى أن عليك أن تبذلي جهداً أكبر لكي تزيليه.

– كل الأمر عائد لي، أليس كذلك؟

– إنه عائد إلينا، نحن الاثنين. على كل منا أن يبذل مجهوداً، وإلا لا فائدة من الاستمرار.

أرادت أن تخبره أن ما من فائدة على أيّ حال، لاسيّما وهو يظهر هذا القدر من عدم التفهم . . . لولا أن موجة كبيرة راحت ترتفع خلفهما فمد يده يمسك بيدها مرة أخرى وهو يقول: «هيا، فلنحاول أن نركب هذه الموجة لنعود إلى الشاطىء».

اتّبعت تعليماته وتركت الموجة تحملها إلى الشاطىء حيث وقفت وقد انسدل شعرها الطويل على كتفيها بينما عيناها تتألقان انتصاراً: «لقد فعلتها».

– نعم فعلتها وهذا جيد.

نظرت إلى داميين وهي لا تزال تبتسم: «شكراً لأنك أحضرتني إلى هنا. ما كنت لأفعل هذا وحدي أبداً».

مدّ يديه يزيل طحلبة أخرى من شعرها، وجسمه قريب من جسمها بحيث استطاعت أن تشعر بحرارته. كان شعره الأسود مردوداً إلى الخلف، وخطوط التوتر حول فمه قد اختفت.

ومرّ بهما طفل كان يركض في المياه الضحلة فتعثر. نهض وهو يصرخ

فاندفعت إميلي إليه تساعده وتطمئنه، فيما أسرعت والدة الطفل وهي تحمل على وركها طفلاً آخر. قالت لإميلي: «شكراً. أدرت له ظهري ثانية واحدة فإذا به يركض عائداً إلى الماء».

فقالت إميلي وهي تمرّ بيدها على رأس الطفل: «لا بأس. كم عمره؟».

– سيبلغ الثالثة قريباً. هيا بنا يا ماثيو لنأكل الآيس كريم.

سار الطفل مع أمه وأخته الصغيرة، والتفت مرة واحدة ليلوّح بيده لإميلي.

قال داميين وهما يسيران نحو أغراضهما الموضوعة على الرمال: «ها قد حصلت على نتيجة مرضية».

نظرت إليه لترى إن كان يسخر منها، وسألته: «ماذا تعني؟».

قال وهو يعطيها المنشفة: «ستكونين أماً صالحة».

أخذت تجفف جسدها وهي تقول: «تقول هذا وكأنه كان لديك بعض الشكوك من قبل».

– أبداً. إنها مجرد ملاحظة.

– يسرّني أنك خبير في تحديد ما إذا كانت المرأة أماً صالحة أم لا. يسرّني أن أطابق معاييرك.

قطّب جبينه وهو يرتدي قميصه: «هل كنت تفضلين أن أقول إنك غير ملائمة؟ ما الأمر معك؟ في كل مرة أمدحك فيها تردّين على مديحي بفظاظة».

– لم أتعوّد سماع المديح منك.

– حسناً، عليّ إذن أن أعوّض عليك. دعينا نبدأ الآن. تبدين رائعة للغاية في ثوب السباحة الأسود هذا. ما رأيك؟

نفضت إميلي الرمال عن شعرها وقالت: «إنها بداية جيدة».

– وأظن أن ابتسامتك جميلة حين تكونين مرتاحة بما يكفي لتظهريها.

حدّقت إليه، وتمنت لو بإمكانها أن تخبره عن صداقتها مع روز. ما زالت لا تفهم سبب إصرار روز على أن تلتزم الصمت بهذا الشأن. كان هذا غير مفهوم بالنسبة إليها.

www.elromancia.com

وعندما لم تجبه، أضاف ساخراً: «لكنني أظن أنّ داني أخبرك هذا مرات عدة».

- داني يكيل المديح غير الصادق، وقد تعوّدت على ألاّ أوليه اهتماماً كبيراً.

- هذه حكمة منك.

تابعا السير بصمت. وعندما وصلا إلى شاطىء «بوندي بيتش» وجداه قد ازداد ازدحاماً. قال وهو يعبر الشارع: «دعينا نتناول كوب قهوة قبل العودة إلى البيت».

كانت تشعر بالتعب وبشيء فاق مستوى إدراكها. في معظم الأحيان، يبدو داميين منيعاً لا يمكن الوصول إليه، وانطوائياً جافاً وكأنه لا يعلم ما عليه أن يفعل بها. صحيح أن علاقتهما الحميمة كانت جيدة، لكنه ابتعد عنها منذ علم بحملها، يكاد لا يلمسها وكأنه لا يحتمل ذلك.

هذا الأمر جعلها تشعر بالوحدة والفراغ. واشتدت لهفتها إلى لمسة منه رغم علمها بأنّ لا أمل في ذلك فحبه في مكان آخر... إنها ليندا جانسين. لقد رأت ذلك بعينيها، ومجرد التفكير في المشهد يمزق قلبها.

وصلت القهوة فتشاغلت إميلي بتحريك الحليب في فنجانها. وعندما رفعت بصرها إليه، وجدته ينظر إليها وعلى ملامحه جد بالغ.

- نعم؟

أخذ يحرك قهوته بذهن شارد قبل أن يقول: «أظن أن الوقت حان لآخذك لزيارة عمتي».

جمدت أصابع إميلي وسألته: «هل... هل طلبت هي ذلك؟».

فقال بشبه ابتسامة آسفة: «روز تطلب رؤيتك منذ أسابيع. لكنني لم أكن واثقاً من أن هذا صواب. قررت الآن أن الوقت حان لذلك».

قالت باستياء: «ما تعنيه هو أنك لم تكن تظنني موضع ثقة. أليس هذا أقرب إلى الحقيقة؟»

ردّ باتزان: «ما أعتقده لا علاقة له بالموضوع. لقد دعتنا روز على العشاء

الليلة».

- هل تعلم... هل أخبرتها عن...؟

حوّل عينيه عن عينيها: «لا، لم أستطع أن أحمل نفسي على ذلك. يمكنك أن تعلني هذا على العشاء».

- لست واثقة من أن حملي موضوع مناسب لحفل عشاء في «دويل بي»، لا سيّما وأنك تدّعي أنك لست الأب.

ساد صمت ثقيل. وعندما رفعت بصرها إليه، تمنت لو لم تفعل. فقد أخافتها نظرة الغضب المكتوم في عينيه.

- كيف عرفت مكان إقامتها؟

نظرت إليه وراحت تطرف بجفنيها، لا تدري ما تقول.

أبعد كوب قهوته، ثم وقف، فوقفت بدورها ولحقت به إلى خارج المقهى وهي تجر قدميها.

قال ببرودة وهو يفتح لها باب السيارة: «اصعدي».

- داميين... إنني...

- اصعدي إلى السيارة اللعينة.

صعدت إلى السيارة وأغلق الباب بعنف، ثم صعد إلى مقعد القيادة بينما جلست هي متوترة.

تحرك بالسيارة وهو يقول صارفاً بأسنانه: «لقد منعتك، بكل صراحة، من الاتصال بعمتي. وكان هذا جزءاً من الاتفاقية التي بيننا».

- أنا لم أتصل بعمتك بل هي التي اتصلت.

التفت إليها وهو يضغط على عجلة القيادة بقوة: «متى؟ ماذا تعنين؟».

- أثناء رحلة العمل التي قمت بها. اصطدمت بها في الشارع على مسافة قريبة من بيتك فكادت تقع.

عاد يواصل القيادة، وهو متوتر الشفتين فيما قال ساخراً: «يا لها من مصادفة! أخبريني. هل سجّلت ملاحظات لكتابك عنها؟».

- كلا طبعاً. لم أفعل شيئاً كهذا.

www.elromancia.com

- لا أصدقك.

فقالت متحدّية: «وما الجديد في هذا؟ أنت لا تصدق معظم ما أقوله لك، فلماذا سيختلف الأمر الآن؟».

- كم مرة قابلتها؟

-مرات عدة.

تابع طريقه صامتاً، جامد الملامح، بينما أخذت هي تنظر من نافذة السيارة من دون أن ترى شيئاً. وبعد فترة طويلة، التفت إليها: «لماذا لم تخبريني»؟

- لأنها طلبت مني ألاّ أفعل.

حوّل اهتمامه إلى حركة السير فترة قبل أن يقول: «عليك أن تخبريني».

- ماذا؟ وأحطم الثقة التي بيننا؟ لطالما اتهمتني بأنني غير جديرة بالثقة وأنني أفعل أي شيء من أجل قصة جيدة، فقررت أن أثبت لك أنك مخطىء ولو لمرة واحدة.

- لا أفهم لماذا فعلت ذلك، فقد أصرّت على أن أمنعك من كتابة الكتاب بأي ثمن.

- زواجك مني كان حلاً متطرفاً، أليس كذلك؟

فقال بجفاء: «هذا كل ما استطعت التفكير فيه حينذاك».

- من المؤسف أنك لم تتمكن من التفكير في حل أكثر خسة، كأن تضعني في الماء المغلي أو أن تقيّدني وتضعني في مكان مرتفع لكي تأكلني الغربان.

نظر إليها عابساً وهو يوقف السيارة: «لم أستبعد هذه الحلول أبداً».

كانت قد نزلت من السيارة فردّت رأسها إلى الخلف متحدية: «ما كنت لأنصحك بذلك. عمتك تحبني وأنا أحبها».

فتمتم يقول: «إنه تضامن النساء».

تبعته إلى داخل المنزل، مصممة على ألاّ تخافه. لماذا عليها أن تشعر بالذنب في حين أنها لم تخطىء؟ لقد تقرّبت منها روز مارغيت. وعندما شعرت معها بالارتياح طلبت منها أن تستمر في زيارتها. لم تخطط هي لأي

من هذا، كما لم تشأ أن تتكتم على مسألة تعارفهما.

توجهت إميلي إلى الحمام مباشرة. كانت تشعر بصداع قويّ بسبب التوتر كما كان جلدها يخزها من حرارة الشمس، فيما قلبها مثقل بحب رجل لا يظن بها سوى السوء.

وعندما نزلت إلى الطابق السفلي بعد ساعة، وجدته يتحدث في الهاتف. شملها بنظراته، متاملاً الثوب الأبيض المحكم على جسدها، الذي يبرز لون بشرتها الذي أحالته أشعة الشمس إلى لون ذهبي لامع. وبدا الحذاء الأحمر ذو الأربطة ومحفظة يدها الحمراء يتلاءمان بشكل بديع مع الوشاح الملوّن الذي ربطت به شعرها.

أنهى المكالمة وواجهها قائلاً وقد بدا الندم على وجهه: «يبدو أن عليّ أن أعتذر».

فقالت بوقاحة: «دعني أخمّن. لا بد أن عمتك أكّدت قصتي، ولهذا صدقتني الآن؟».

توتر فمه: «اسمعي. منذ سنوات وعمتي ترفض أن ترى أي إنسان آخر سواي وسائقها وطبيبها. فلا يمكنك أن تلوميني على شكوكي».

- هل لك أن تفتش حقيبة يدي قبل أن نخرج الليلة؟ لتطمئن إلى أنني لم أضع فيها كاميرا صغيرة أو مسجّلة.

ومدت له يدها بالحقيبة فتجاهلها ونظر إليها عابساً: «لا أريد أن أتجادل معك. دعوة روز في حدّ ذاتها معجزة، فدعينا لا نفسدها بالتشاجر».

- حسن، أنا موافقة.

وردّت رأسها إلى الخلف متحدية.

سارا صامتين نحو بيت روز. نظرت إميلي إلى داميين مرة واثنتين لكنها لم تشأ أن تجري معه حديثاً تافهاً. رأت من توتر فكه أنه يحاول أن يتحكم في نفسه، وكأنه لا يريد للسانه أن يزل بكلمة.

وأخيراً، خرق جدار الصمت قائلاً وهو يفتح بوابة منزل روز: «يبدو أن عمتي أخبرتك عن حالتها».

- نعم.

- وأفترض أنك فهمت كم هو مهم بالنسبة إليها ألا يعلم بالأمر أحد.

فسألته: «وهل يعلم داني؟».

أصبحت نظراته حادة: «لا أدري. ومن الأفضل ألاّ يعلم إلا إذا غيّرت عمتي رأيها».

لم تعجبها طريقته في النظر إليها، وكأنها الوحيدة التي يمكن أن يزل لسانها. فقالت تطمئنه: «لن يعرف مني».

- هذا حسن.

كانت روز ترتدي ثوباً طويلاً بدا وكأنه أحد أثوابها المسرحية. رأتها وهي تأخذ داميين بين ذراعيها وكأنها أم وجدت ابنها المفقود منذ مدة طويلة. المحبة الواضحة بين روز وداميين أرسلت غصة في حلق إميلي التي وقفت تنتظر دورها لتحييها.

- إميلي. كم تبدين خلاّبة. أليست كذلك، يا داميين؟

قبّلتها روز على وجنتيها وهي تضيف: «هل استاء كثيراً من سرّنا الصغير، يا عزيزتي؟».

ألقت إميلي نظرة نحو داميين، وأجابت: «لقد تلقاه بصدر رحب، وتفهّم الأمر».

لمعت عينا داميين، لكنها حوّلت نظرها عنه، قائلة: «هل هذا أحد أثوابك المسرحية؟».

- نعم. لبسته في مسرحية «ترويض المرأة الشرسة». أليس رائعاً؟ من العار أن يترك في خزانة الثياب. ففكرت في ارتدائه الليلة، بما أنها مناسبة خاصة.

- أحقاً؟

ونقّلت إميلي بصرها بين روز وداميين علّها تفهم ما قصدته. قالت روز: «نعم. لقد دعوت شخصاً آخر هذا المساء».

عادت إميلي تنظر إلى داميين، لكن ملامحه بقيت جامدة. فسألت روز:

«من هو؟».

ابتسمت روز ابتسامة واسعة وهي تقول بزهو: «إنها ليندا... ليندا جانسين».

www.elromancia.com

١٤ - لماذا تحميها؟

رسمت إميلي ابتسامة على شفتيها، وهي تقاوم لئلا يغمى عليها، فيما قالت روز: «ستصل حالاً. لم يستطع أندريه الحضور بسبب ألم في المعدة. والآن، ماذا تريدان أن تشربا؟».

هزّت إميلي رأسها: «أريد كأس ماء بالصودا فقط. شكراً».

ما الذي تريده روز من دعوتهما، هي وليندا، في الأمسية نفسها؟ ما الذي ترجو تحقيقه؟ روز على علم بالأقاويل عن ليندا وداميين. إميلي نفسها شاهدت الدليل على علاقتهما أمس، وسط المدينة.

لعلها أرادت أن تلطّف الأمور في هذا الاجتماع المهذب، فهي تقوم بما تظنه الأفضل لزواج ابن أخيها.

حدّقت إميلي إلى كأسها وتمنت لو أنها الآن على بعد ألف ميل من هذا المكان. كيف وصلت حياتها إلى هذا؟

دق جرس الباب فذهبت روز لتفتح. نظرت إميلي إلى داميين لكنه كان واقفاً ينظر من النافذة، وقد أدار ظهره لها.

عادت روز مشيدة بثوب ليندا الطويل البالغ الأناقة. وشعرت إميلي على الفور بالحقارة في ثوبها البسيط الأبيض، لكنها وقفت مرحّبة بالضيفة وقد بان الحذر على ملامحها.

- داميين.

وسارت ليندا إليه تقبله على الوجنتين بحنان، ثم هتفت: «وإميلي».

واستدارت إلى حيث وقفت إميلي تقف بارتباك وخاطبتها: «تبدين جميلة جداً. الزواج يناسبك. في كل مرة أراك، أراك أجمل».

لم تعرف إميلي ما عليها أن تقول. بدا كلام ليندا مخلصاً، لكنها تساءلت عما كانت لتقوله لو أن داميين وروز غير موجودين.

وأخيراً قالت: «شكراً، أرجو أن يتحسن حال زوجك قريباً».

- إنه بخير. مجرد مشكلة في المعدة. والآن، أخبريني يا روز، لم هذا كله؟ فأنت لم تستقبلي ضيفاً منذ سنوات. ما سبب هذه المناسبة غير المتوقّعة؟».

جلست روز على حافة إحدى الأرائك وقد تألق وجهها: «لدي ما أريد أن أعلنه».

جلست إميلي على حافة مقعدها، متسائلة عما إذا كان داميين قد أخبر عمته عن حملها.

- وما هو؟

سكتت روز، فبدا واضحاً لإميلي أن أمراً بالغ الأهمية على وشك أن يُعلن.

وأخيراً قالت روز: «سيجرون لي عملية».

هتف داميين وليندا بصوت واحد: «عملية؟»

وسألتها إميلي: «عملية من أي نوع؟».

فقالت روز بزهو: «عملية تغيّر الحياة. ستجرى لي عملية زرع خلايا مضادة لخلايا مرض «باركنسن».

ساد صمت تسوده الرهبة، قالت بعده روز وهي تقف على قدميها: «حسناً، ألن تقولوا شيئاً؟».

وقف داميين أولاً، واحتضن عمته: «هل أنت واثقة من أن العملية مضمونة؟ هل فكرت في احتمال ألاّ تنجح؟».

لمست روز يده بيد مرتجفة: «داميين، حبيبي. لم أعد أستطيع الحياة بهذا الشكل. أعيش كالناسكة، مختبئة من الناس كيلا يظنوا أنني مدمنة. عليّ أن أجري هذه العملية. إنها فرصتي الوحيدة».

سألتها ليندا: «هل من احتمالات سلبية؟»

فالتفتت روز إليها: «طبعاً، ولكن عليّ أن أتقبل الأمر. هناك الصرع،

www.elromancia.com

والشلل، والتلف الدائم في الدماغ».

فشهقت إميلي: «كلا».

استدارت روز إليها ووضعت يدها على كتفها تطمئنها: «لا تقلقي، يا عزيزتي. لقد فكرت في كافة الاحتمالات وقارنتها بما أعانيه الآن ولا أظن أنّ لدي الكثير لأخسره. لا أريد العيش بهذا الشكل بعد الآن. وبشكل ما، أنت مسؤولة عن قراري هذا».

حدّقت إميلي فيها: «أنا... أنا مسؤولة؟».

- نعم. جعلتيني أدرك أنه لا يمكنني أن أتوقع من الجمهور أن يتقبّل اختفائي بهذه البساطة. فهم يريدون أجوبة، وأنا أدين لهم بذلك.

فقال داميين بعناد: «أنت لست مدينة لهم بشيء».

نظرت روز إليه: «داميين، حبيبي. إميلي على حق. ما كنت لأملك ما أملكه لولا جمهوري. لقد دعموني طوال تلك السنين. وحان الوقت لكي أواجه الواقع. لا يمكنني أن أستمر في خداع الجمهور بأعذار غامضة. أريد أن تظهر الحقيقة...».

فقال داميين محتجاً: «ولكن، يا عمتي...».

فقاطعته رافعة يدها: «لا. لقد اتخذت قراري. سأسمح بإجراء هذه العملية وأنا واثقة من أنها ستنجح. أنا بحاجة إلى موقف إيجابي، ومن يدري! قد أعود إلى التمثيل مرة أخرى».

فسألتها ليندا: «هل أنت جادة؟ سيكون هذا رائعاً، لا بل معجزة».

- أعرف هذا. وإذا رجعت فسأجعل إميلي تكتب عن عودتي.

فقال داميين: «ألسنا نستبق الأمور؟ لم تجرِ العملية بعد. والتفكير في كتاب إميلي ما زال مبكراً».

حملقت إميلي فيه باستياء، بينما ابتسمت له روز بمحبة: «حبيبي، أدرك أنك تريد حماية إميلي من خيبة أمل أخرى. ولكن فكر في الأمر. إذا خرجت سالمة فهذا سيعوض عن تخليها عن الكتاب. أشعر بأنني مدينة لها بهذا».

فقالت إميلي بهدوء: «لست مدينة لي بشيء يا روز».

وسألها داميين: «متى ستجرين العملية؟».

- في نهاية الأسبوع القادم. قال طبيبي إنها عملية تستحق التجربة.

وسألها داميين: «وماذا الصحافة؟ كيف يمكننا أن نخفي هذا الخبر؟ الأطباء والممرضات يحفظون الأسرار. ولكن ماذا عن الموظفين الآخرين؟ يكفي أن يذكر اسمك حتى يكسب المرء ثروة من خبر كهذا».

لم تعرف إميلي إلى أين تنظر. بدا لها أن داميين يوجه كلماته هذه لها، وكأنه لا يثق في أنها لن تطلع الصحافة على الخبر.

قالت روز: «أودّ أن أبقي الأمر سراً، قدر الإمكان. لكني مستعدة لكافة الاحتمالات».

ونظرت إلى داميين مباشرة، وعيناها الداكنتان كعينيه، تلمعان بالشجاعة و الاقتناع: «يجب أن أجري العملية، يا داميين. إنها آخر فرصة لدي، ولا بدّ أنك تتفهم ذلك».

تنهد داميين ثم عانق عمته بحرارة: «أرى أنك امرأة قوية العزيمة تريد أن تعود إلى المسرح مرة أخرى».

وعندما تركها ابتسمت له: «ولماذا لا أفعل؟ بعد أن تزوجت أنت، بتّ أشعر أن لديّ شيئاً أعيش من أجله الآن. إن شاء الله سيكون لي أحفاد، وأريد أن أكون بصحة جيدة لأستمتع بهم».

فقالت ليندا ضاحكة: «لا تستعجلي الأمور، يا روز. فهما لم يتزوجا إلا منذ أسابيع قليلة».

تمنت إميلي لو تنشق الأرض وتبتلعها. لقد شعرت بحرارة نظرات داميين لكنها أبقت نظراتها بعيدة عنه. لم تستطع أن تفهم شيئاً بالنسبة إلى ليندا، فهي تبدو شديدة الولع بروز، ولم يبد عليها الضيق لوجودها مع زوجة داميين في غرفة واحدة.

هل هي بهذه الوقاحة؟ هل يتباهيان بعلاقتهما السرية؟ ثمة علاقة حميمة بينهما، تظهر في نظراتهما إلى بعضهما البعض. ابتسامة صغيرة، نظرة ذات معنى، تحية أحدهما للآخر وضغط اليد برقة.

حاولت أن لاّ تنظر إليهما. كان هذا عذاباً ولم تفهم لماذا تشجع روز هذا الوضع.

وبعد قليل، قادتهم روز إلى غرفة الطعام حيث أعدّت المائدة بكل أناقة. قالت: «أنا لست طاهية ماهرة. وقد اتفقت مع شارلي على أن ينجدني ببعض الطعام الجاهز».

فقالت ليندا بابتسامة ذات مغزى لداميين جعلت قلب إميلي ينعصر ألماً: «لا بد أنّ روز طلبت الطعام من مطعم «خمسة نجوم».

ضحك داميين وسكب لإميلي كأس ماء أخرى بانتظار أن تدخل روز أول نوع من الطعام.

حاولت إميلي أن تقف وهي تقول: «أليس عليّ أن أساعدها؟».

فوضع داميين يده على كتفها يمنعها: «لا. اجلسي! روز لم تلعب دور المضيفة منذ سنوات. دعيها تستمتع بذلك».

جلست إميلي وهي تتمنى لو بإمكانها أن تساهم في الحديث الحيوي الذي يدور بين ليندا وداميين، لكن ذهنها بقي شارداً، منتقلاً إلى حيث لا يتحطم قلبها ولا تسحق قسوة الواقع أحلامها.

نظرت إليها ليندا بإمعان: «ما رأيك يا إميلي؟».

عادت إميلي بانتباهها إليهما: «آسفة. لم أسمعك؟».

فابتسمت ليندا بصمت: «سألتك إن كنت تحبذين أن تعلم داني بعملية روز الجراحية».

نظرت إميلي إلى داميين لكن ملامحه بقيت غامضة. فقالت بحذر: «إنه . . . حسناً. إنه ابن أخيها هو أيضاً، ولكن ألا تعتقدان أنّ الرأي رأي روز؟».

- رأيي في ماذا؟

كانت روز قد دخلت في هذه اللحظة وهي تحمل صينية فوقها مأكولات بحرية.

أجابت ليندا: «كنا نتناقش عما إذا كنت تودّين إعلام داني بعمليتك».

- لندع داني بعيداً عن هذا الأمر، فحس الوفاء للأسرة ضعيف عند داني، ألا توافقونني الرأيّ؟.

أحنت إميلي رأسها فوق طعامها، راجية ألاّ تنعكس الحرارة التي تشعر بها، على وجهها. فمجرد ذكر اسم داني جعلها تشعر بالذنب.

قال داميين بعد صمت قصير: «لدى داني الكثير من المسؤوليات التي عليه أن يتعلم كيف يتحمّلها. وسأجعله يواجهها».

فقالت روز: «لا تقل لي إنه بأنه أوقع فتاة أخرى في المشاكل. بعد تلك الفتاة الأخيرة، ظننته تعلم درساً».

شعرت إميلي بأنها على وشك التقيؤ. . .

- المعذرة. . .

وهرعت راكضة، فهتفت روز وليندا بصوت واحد: «إميلي، هل أنت بخير؟».

أصبح داميين بقربها فوضع ذراعه حولها، لكنها تخلصت من ذراعه واندفعت إلى الحمام وقد شحب وجهها. وتناهى إليها صوت ليندا يقول بعطف: «إنها هذه الجرثومة اللعينة المنتشرة في الأنحاء. مسكينة إميلي».

أخذت إميلي تتقيأ، غير مهتمة بوجود داميين شاهداً على محنتها.

ناولها منشفة، وهو يقول: «ما كان لي أن أدعك تخرجين الليلة. أنت بحاجة إلى ليلة هادئة في البيت».

غسلت وجهها ثم استندت إلى الحوض: «حسناً، لو كان الخيار لي لفضلت أن أبقى وحدي على أن أسهر مع عشيقتك».

- إميلي، ثمة ما أريدك أن تعرفيه عن ليندا.

التفتت تواجهه وسألته بلهجة فاترة: «أنت تحبها، أليس كذلك؟».

لم تفصح عيناه عن شيء فعادت تقول بمرارة: «لقد رأيتكما أمس في المدينة. أتيت لأتناول الغداء معك. كنتما أمام مكتبك، وكان منظركما مؤثراً للغاية. لعلك أخبرتها أن زوجتك لا تفهمك، وسألتها أن تراها لاحقاً».

تجهم وجهه: «إميلي . . . أنت لا تفهمين . . . ليس . . .».

ثارت في وجهه، غير مبالية بارتفاع صوتها: «لا أفهم؟ أتدري ما لا أفهمه؟ ما الذي لا أفهمه هو لما أنا جزء من هذا؟».

ولوحت بيدها مضيفة: «كنت قد قررت أن إصدار كتاب يتعارض مع قناعاتي. لكنني كنت متلهفة لحل مشاكلي. وإذا بي أرى نفسي، فجأة، متزوجة من رجل مميّز صادف أنه على علاقة بزوجة شريكه في العمل. ووجدت نفسي مرتبطة ببطلة كتابي ومتعلقة بها . . هذه البطلة التي قررت أن تخرج من مخبأها بعد سنوات من العزلة. كما أرغمت على تمضية الأمسيّة مع عشيقتك التي ترمقك بنظرات حب عبر المائدة».

-أدرك مدى صعوبة هذا الأمر بالنسبة إليك . . .

- صعوبة فقط ؟ ليس لديك فكرة عما يعنيه هذا بالنسبة إلي.

- صدقيني أنني أتفهمك. فحالما جاء ذكر اسم داني، أدركت أنك ستشعرين بجرح بالغ. لكن كلما تعودت على فكرة أن داني لن يقف بجانبك، كلما كان هذا أفضل.

فصرخت: «هذا ليس بسبب داني. إنه بسببك».

- سبق وأخبرتك أنني سأربي الطفل وكأنه ابني. لن يعلم بهذا أحد سوانا.

تشبثت إميلي بالحوض وكأنه حبل النجاة، وهي تقول بكآبة: «داميين . . . أريد أن أخبرك بشيء. إنه أمر هام».

- لا، أنا أريد أن أخبرك شيئاً أولاً، وهو عن ليندا.

استدارت تواجهه وقد اتسعت عيناها ذعراً. إنه يريد أن يتركها من أجل ليندا. إنها واثقة من ذلك.

- ليندا هي . . .

- إميلي . . . هل أنت بخير؟ هل أستدعي الطبيب، يا داميين؟

كان هذا صوت روز آتياً من وراء الباب. تنهد داميين وترك إميلي تغسل وجهها ليطمئن عمته: «هذا غير ضروري، يا عمتي. لقد أمضينا النهار على

الشاطىء فتعرضت إميلي للشمس أكثر مما يجب. سآخذها إلى البيت بعد قليل».

عاد إليها بعد ذهاب عمته: «أتريدينني أن آخذك إلى البيت؟».

هزت رأسها نفياً: «إنه حفل عشاء عمتك الأول بعد خمسة عشر عاماً، ولا أودّ أن أكون من يفسده».

-يمكنني أن أعود بعد أن أوصلك إلى البيت.

قالت له بانهزام: «افعل ما تريد. الأمر سواء بالنسبة إلي».

فتنهد: «هيا بنا. سآخذك إلى البيت».

رافقها إلى البيت، ثم راح يتسكع في الأنحاء فيما هي تستعد للنوم.

وعندما جذبت غطاء السرير، سألها: «أما كان ينبغي أن تأكلي شيئاً؟».

- لست جائعة.

فقال بجفاء: «هذه جملتك المعتادة. لكنها لا تضمن الصحة والخير لجنينك».

- أمر لا يعنيك. ونفاقك يثير الاشمئزاز.

- أفهم من هذا أن وجودي هو أيضاً كذلك.

فنظرت إليه بحقد: «افهم ما تشاء».

استدار وخرج من دون أن ينطق بكلمة فيما أخذت هي تحدق في المكان الخالي حيث كان يقف. لم تكن تحب نفسها في هذا المزاج. لكن ماذا يتوقع؟ كيف توقع منها أن تحتمل قضاء أمسيّة برفقة آخر عشيقاته من دون تذمّر؟

وألقت بنفسها على السرير وأخذت تبكي حتى استنزفت طاقتها.

لا بد أنها نامت، إذ أيقظتها لاحقاً حركة في الطابق السفلي، فجلست تزيح شعرها عن وجهها وترهف السمع.

سمعت خطوات داميين على السلم، ثم فتح باب غرفة النوم بسرعة بحيث لم تجد وقتاً كي تتظاهر بالنوم.

سألها وهو يشعل الضوء بجانب السرير: «كيف حالك؟».

فأجابت ببساطة: «أنا جائعة».

www.elromancia.com

- سأحضر لك شيئاً ما. لقد أرسلت لك عمتي كيساً من الطعام فيما لو تحسّنت.

- أرجو ألاّ تكون مأكولات بحرية!

فقال بشبه ابتسامة: «لا. لا أبداً».

وجاءها بصينية يعلوها طبق من الدجاج والسبانخ مع الأرز.

أخذت تتناول الطعام، شاعرة بعينيه تتأملانها بصمت.

قالت: «أرجو ألاّ يكون أمل روز قد خاب لأنني غادرت منزلها».

- لم تكن خائبة الأمل بل قلقة. أصرّت على أن أعدها بألاّ أتكدرك.

- وهل وعدتها؟

التفت إليها يواجهها، فرأت خطوط الإرهاق في وجهه. ورد بصوت متعب: «ما قصدت قط أن أتكدّرك».

واستلقى على آخر السرير واضعاً ذراعه على عينيه وكأن الضوء يزعجه فيما أردف: «ومع ذلك يبدو أنني أوقعتك في ورطة لا يحلّها إلا الله».

لم تعرف إميلي ماذا تقول. وتابع كلامه قائلاً: «الحقيقة هي أنك فاجأتني وأنا غير محترس».

- أنا . . . أنا فعلت هذا؟

- كان عليّ أن أفعل شيئاً يمنعك من الكتابة عن روز. الزواج إجراء متطرف، أعرف هذا. لكنني لم أتوقف لأفكر. . . فقد كان عليّ أن أحمي روز وليندا مهما كلّف الأمر.

- ليندا؟

انتصبت إميلي في جلستها ثائرة لذكره هذا الإسم، وتابعت تقول: «لماذا تحمي ليندا؟ وما علاقتها بروز؟».

نزل داميين عن السرير وقال ببطء متعمّد: «ليندا هي ابنة روز غير الشرعية».

١٥ - حقل الغام

حدّقت إليه إميلي ذاهلة: «هل أنت على علاقة بابنة عمتك؟ هل لديك علاقة مع ابنة عمتك؟».

هزّ داميين رأسه نفياً وهو ينظر إليها بملل: «أكاد أصاب بالغثيان من كثرة ما كررت هذا الكلام. أنا وليندا لم نكن ولن نكون على علاقة. أمرها يهمني كثيراً، فهي وروز قد تألمتا كثيراً في سنوات فراقها. وقد أخذت عهداً على نفسي أن أبذل جهدي لكي أحميهما من أي ألم جديد».

دفعت إميلي الصينية جانباً بيدين مرتجفتين: «هل . . . هل يعلم داني بهذا؟».

- أظنه اشتبه في شيء. لكننا استطعنا حتى الآن أن نبقيه بعيداً عن هذا الموضوع. أخبرتني روز أنها أرادت أن تطلعك على الحقيقة، لكن ليندا جعلتها تقسم على أن تكتم السر. فوالدا ليندا بالتبني بحاجة إلى وقت ليتكيّفا مع فكرة أنّ ابنتهما تبحث عن أمها. وجئت أنت لتخبري الناس أنك ستكتبين سيرة حياة روز. كان هذا حقل ألغام . . . وكان عليّ أن أتحرك بسرعة.

احتاجت إميلي لبعض الوقت لكي تستوعب كلماته. لم تعرف كيف تواجه حقيقة أنها كانت مخطئة إلى هذا الحد في حكمها عليه.

كانت عمياء، فاتهمته بأنه على علاقة بامرأة أخرى بينما كان يسعى طوال الوقت لحماية شخصين عزيزين عليه. لقد خططت للكتابة عن الأسرة وكأن أفرادها ممثلون في مسرحية، وليس أناساً حقيقيين لهم مشاعرهم وآلامهم. وتملكها خجل بالغ.

www.elromancia.com

كانت تعلم أن صمتها يدينها، لكنها لم تستطع أن تنطق الكلمات التي عليها أن تقولها. تلهفت بصمت إلى أن تطلب منه الصفح، ودّت لو تخبره عن شكوكها ومخاوفها التي قادتها من طفولتها الشقية إلى بحيرته العميقة الخفية.

قطع عليها أفكارها بقوله: «سأتركك ترتاحين قليلاً. سأسافر إلى «بريسبين» غداً مع ليندا. حيث سأقابل والديها وأشجعها على التعرف إلى روز. إنهما يقاومان حتى الساعة، لكن ليندا تعتقد أنّ معرفتها بي ستفيد».

سألته: «هل بسبب خبرتك الشخصية؟»

نظر إليها طويلاً ثم سألها: «لقد أخبرتك روز، أليس كذلك؟».

أومأت إميلي، وقد شعرت بغصة في حلقها أفقدتها القدرة على الكلام. لكنه كان قد أشاح بوجهه عنها فلم ير الدموع في عينيها.

- أريد أن أمنح ليندا ما حرمت أنا منه. علاقة صحيحة مليئة بالحب مع أمها الطبيعية.

قالت عندما استطاعت التحكم في صوتها: «أنا أتفهّم هذا».

لكن عندما رفعت بصرها كان قد خرج.

وعندما حل يوم الإثنين، كانت قد غيرت رأيها بالنسبة لزيارة بيت داني. وبدلاً من ذلك اتصلت به وتركت له رسالة ليقابلها في منزل داميين. هنا، تشعر بأمان أكبر، فهي لا تثق فيه.

نظرت إميلي إلى ساعتها. أمامها خمس دقائق. كل ما تملكه موجودة في شيك بين صفحات مفكرتها على سطح خزانة المطبخ. لقد باعت شقتها بعد ساعات من إخلائها.

نظرت إلى ساعتها... ثلاث دقائق.

فتحت له الباب وشعرت بالغثيان من نظراته الجائعة.

- جئت في الموعد المحدد، يا إميلي.

- دعنا ننهي هذا العمل. أين المفكرة؟

عيناه الزرقاوان الباردتان جعلتاها تجمد مكانها، لكنها صمدت أمام

نظراته. سألها: «أين النقود؟».

- لم نتحدث أبداً عن المبلغ الذي تريده.

جالت نظراته فوقها: «أنت تعرفيني، أليس كذلك؟ إن ذوقي مكلف».

- لا أستطيع... لا أريد التفاوض في هذا الأمر. فأنا مثلك محدودة الموارد.

فلوى شفته: «ألا يدفع لك أخي أجر متعته؟»

لمعت عيناها غضباً: «لا أستطيع أن أتصور ما تعنيه بهذا».

فقال ضاحكاً: «ألا تستطيعين؟».

- كلا.

- ألا يرشوك لينال ما يريد؟

أدركت أن وجهها احمر خجلاً لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً إزاء ذلك.

فقالت: «ليس بحاجة لمثل هذه الوسائل فأنا راغبة دوماً».

رفع حاجبيه متأملاً: «إنه، مرة أخرى، ينجح حيث أخفقت أنا».

- أنت تغار منه.

- أغار؟ ليس لديه ما أريده أنا.

- هذا صحيح، لا أتصور ذلك. الحشمة والوفاء ميزتان ليستا في قاموسك. أنت تفضّل أن تبيع روحك على أن تحمي أولئك الذين أحبوك وساندوك.

- أظنك تشيرين إلى العمة روز. لم تكن ترى سوى داميين. لم تهتم بي مرة واحدة.

- على الأقل كان لديك والدان يحبانك.

- كل الحب الذي في العالم لا يسدّد الفواتير. أنا بحاجة إلى مال لأعيش، ولا يمكن أن تترك لي العمة روز شيئاً وداميين يقف في الطريق.

- هل هذا كله من أجل المال؟ ألا يهمك أمر عمتك وداميين؟ أنت لا تهتم بأمر أسرتك وإلا لما كنت أعرض عليك نقوداً من أجل مفكرة لا شأن لأحد برؤيتها.

www.elromancia.com

فقال ساخراً: «لكنك تريدينها، أليس كذلك، يا إميلي الحلوة؟ أنت متلهفة للحصول عليها. يمكنك، أخيراً، أن تعرفي أسرار روز وتحصلي على مليون دولار من بيع نسخ الكتاب».

نظرت إليه باشمئزاز: «أنا أريد المفكرة، لكن ليس للأسباب التي تظنها».

- لا يهمني السبب الذي تريدينها من أجله. أعطني ما لديك لأذهب.

فقالت غاضبة: «ليس قبل أن أخبرك رأيي فيك. لقد استغليتني لتنتقم من أسرتك، ولن أسامحك قط».

- لا تجعليني أضحك. جئت إليّ باكية تطلبين معلومات وأعطيتك ما تريدين ليس إلاّ.

- قمت باستغلال لحمك ودمك! كيف يمكنك أن تعيش مرتاح البال؟

فصرخ معنفاً: «لا تدّعي البطولة. من قام باستغلال اسم مارغيت؟ أخبريني... هل كان الأمر يستحق ذلك؟».

حملقت فيه بارتياب: «ماذا تعني؟».

- هل كان الأمر يستحق أن تتزوجي أخي؟ أعني أنه كان بإمكانك أن تؤلفي الكتاب وتواجهيه لاحقاً في المحكمة، فلماذا تزوجته؟ هل المال هو السبب؟

فأجابت بعناد: «لا، لم أتزوجه من أجل المال».

- لا تخبريني أنك تحبينه.... فهذا سيضحكني حقاً.

شدّت قبضتيها ووقفت صامتة. نظر إليها بإمعان مقطّباً حاجبيه، وسألها: «لقد وقعت في غرامه، أليس كذلك؟ أنت تضيّعين وقتك سدى. فهو لا يحب سوى امرأة جاستين، وزوجها يتظاهر بالعمى».

وأخذت تطمئن نفسها بأنه لا يعلم... إنه لا يعلم.

سارت إلى خزانة المطبخ وتناولت مفكرتها ثم استدارت تواجهه: «أخبرني يا داني. هل قرأت مذكرات عمتك روز؟».

هزّ كتفيه: «تصفحتها بسرعة. لكنني عرفت، منذ وجدتها، أنها ستثير اهتمامك. والآن، فلنبدأ العمل. أعطني النقود».

مدت إليه يدها بحزم: «هات الدفتر».

- المال أولاً.

- أريد أن أرى دفتر المذكرات.

- تريدين أن تفحصيه قبل الشراء، أليس كذلك؟ أنت حكيمة.

ومد يده إلى الجيب الداخلي لسترته وناولها دفتر مذكرات مغلفاً بجلد بالٍ. حاولت أن تخفي ارتجاف يدها وهي تأخذه منه. إذ شعرت بيدها تتلوث لمجرد لمسه... فكيف إذا ما فتحته؟

ناولته الشيك فاتسعت عيناه حين رأى المبلغ المدوّن عليه: «هذا ليس سيئاً. لا بد أن داميين يدفع الكثير ليستمع بوقته معك. من المؤسف أنني لم أحاول أن أتذوقك أنا بنفسي».

لم تكترث للنظرة التي بدت في عينيه وهو يقول: «لكن لم يفت الأوان بعده»

ومد يده إليها لكنها كانت قد رأتها فتراجعت إلى الخلف لتتعثر بالطاولة وتقع على الأرض. إلاّ أنها نهضت في الوقت المناسب لترى داميين يسدد لكمة إلى وجه داني. أغمضت عينيها إزاء هذا العنف وقلبها يقفز خوفاً من أن يصاب داميين بأذى، فيما هي أضعف من أن تتمكن من مساعدته.

لكن ما كان ينبغي أن تقلق. فقد فتحت عينيها لتراه واقفاً أمامها مادّاً يده إليها.

قال وهو ما زال يلهث: «لقد ذهب ولن يؤذيك الآن».

أمسكت بيده ووقفت، وهي تقول بضعف: «حصلت على المذكرات. حصلت على المذكرات...».

ومدت له يدها بها فتناولها منها وألقاها على الطاولة قائلاً: «نعم. أعرف أنك حصلت عليها».

نظرت إليه طويلاً. كانت نظراته دافئة فيما غابت عن فمه خطوط التوتر التي اعتادت رؤيتها.

سألها: «لماذا تزوجتني، يا إميلي؟».

www.elromancia.com

لم تستطع أن تواجه نظراته المتسائلة: «أنا . . . أنا لست واثقة . . .».

وعضت شفتها وأخفضت بصرها، فيما أردفت: «أظنني كنت بحاجة لأن أنتمي إلى شخص ما . . . أي شخص».

- أي شخص؟

فقابلت عينيه بشجاعة: «ليس أي شخص بالضبط . . . . أنت فقط».

فابتسم وضمها إليه: «ليس لديك فكرة كم كنت متلهفاً لسماع هذا».

قالت ووجهها في صدره: «علي أن أخبرك شيئاً يا داميين. شيء هام للغاية».

أبعدها عنه ونظر إليها: «لا حاجة بك لأن تخبريني. لقد سبق وعرفت».

وعندما نظرت إليه متسائلة، قال: «عدت إلى البيت مبكراً، فرأيت سيارة داني. قررت أن أدخل من الباب الخلفي وأصغي إلى ما تقولان. عرفت عن أخي ما لم أكن أعرفه من قبل، وعن نفسي ما جعلني أشعر بالخجل. هل يمكنك أن تصفحي عني؟ لقد عاملتك بشكل مريع. ليس لي عذر سوى أنني كنت غيوراً للغاية، وأن الغيرة أعمتني عن رؤية الحقيقة. كان لديّ آراء مسبقة كثيرة عنك. لكن كل يوم أمضيته معك أراني كم أنت رائعة. أنت تختبئين خلف ذكاء حاد ولسان لاذع، لكنك ضعيفة. وكان عليّ أن أدرك ذلك منذ ليلة زواجنا».

سألته بحذر: «هل أنت . . . هل أنت خائب الأمل بالنسبة إلى الطفل؟ لم أتعمّد أن أحمل . . . لم اكن أتناول حبوب منع الحمل لأنني . . . لأنني لم أكن بحاجة إليها. ولم أكن أعتقد أن الحمل يمكن أن يحدث بهذه السهولة. أنا آسفة للغاية، فالذنب ذنبي».

- لا. أنت لست ملامة، سأحمل أنا كل المسؤولية وسأصرّ على أن تبقي زوجة لي طوال السنوات الخمسين القادمة أو نحوها.

- أنت لست مضطراً. يمكنني أن . . .

- يمكنك ماذا؟ لقد بعت لتوّك ملكك الوحيد. لا سند لك. كيف تفكرين بتربية الطفل وحدك؟

عضت شفتها وعادت تحدق في عنقه: «هيا يا إميلي، أخبريني أنك بحاجة إلي. أريد أن أسمع هذا منك».

عندئذ، رفعت بصرها إليه وقالت: «أنا أحبك. أتعلم أنك الشخص الوحيد الذي أحببته منذ كنت طفلة؟».

ابتسم وضمها إليه قائلاً: «أحبك أكثر مما يمكنني أن أقوله. أنت كل شيء بالنسبة إلي. أظن أنّ هذا هو سبب إصراري عليك كي تتزوجيني. لم أشأ أن يقف في طريق رغبتي هذه أي شخص».

نظرت إليه غير مصدقة: «لا أفهم. كنت أظنك تكرهني».

- وأنا أيضاً كنت أظن ذلك ولكن هذا ليس صحيحاً. فهل أنت بحاجة إلى مزيد من الإقناع؟

ابتسمت ولمعت السعادة في عينيها: «أنا لست مقتنعة تماماً. ربما لديك وسيلة معيّنة كي تقنعني».

عانقها قائلاً: «سأبدأ بهذا».

وقبلها مضيفاً: «ثم انتقل إلى هذه».

تنهدت، وقالت: «ما زلت غير مقتنعة».

- ما زلنا في بداية الطريق، فامنحيني بعض الوقت.

ابتسمت، وقالت: «لديك كل الوقت الذي في الدنيا».

* * *

قابل داميين وإميلي ليندا في قسم الإنعاش، فبدت شاحبة.

سألتهما ليندا: «هل سمعتما الخبر؟».

فقال داميين: «ماذا؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

ردّت ليندا بارتياح: «إنها تستيقظ، والطبيب مسرور لاستردادها وعيها. قال إن الوقت ما زال مبكراً، لكنه يظن أن العملية سارت على ما يرام».

اغرورقت عينا إميلي بالدموع وهي ترى العون والمواساة اللذين وفرّهما داميين لابنة عمته. فمدّ يده إليها وقبل جبينها وهو يقول: «إميلي، حبيبتي،

لماذا لا نخبر ليندا خبرنا المثير؟».

نقلّت ليندا نظراتها بينهما وسألت: «ما هو؟».

جذب داميين إميلي إلى جانبه وأعلن قائلاً: «سنرزق بطفل. لقد تأكدنا رسمياً عند الصباح».

احتضنتها ليندا وهي تهتف: «تهاني يا إميلي. لم يكن الأمر جرثومة في المعدة، إذن؟».

ابتسمت إميلي: «لا. ولكن في الأشهر السبعة ونصف القادمة لا تدعوا أحداً يقدم اليّ مأكولات بحرية، فأنا لا أطيقها».

ضحك داميين وليندا، ثم اعتذرت ليندا لتعود إلى جانب روز. نظر داميين إلى إميلي ثم مدّ يده إلى جيبه قائلاً: «نسيت أن أخبرك يا حبيبتي».

وأخرج الشيك الذي أعطته لداني وقال: «لقد ألغيت هذا الشيك».

- ألغيته؟

- نعم.

- أتعني أنني لم أفقد نقودي كلها؟ وأن داني لم يصرفه؟

- لا، لم يصرفه.

ومد يده إلى جيبه مرة أخرى وناولها مستنداً آخر.

- ما هذا؟

- صك ملكية شقتك. لقد اشتريتها لك.

- اشتريتها؟

- رأيت أن علينا أن نحتفظ بها في الأسرة. من يعلم؟ قد يحتاجها أحد أولادنا يوماً ما.

اغرورقت عيناها بالدموع: «لا أدري ما أقول».

- لست بحاجة لأن تقولي شيئاً.

- أحبك.

- ما عدا هذه الكلمة في كل يوم من حياتنا. موافقة؟.

تراقصت عيناها مرحاً وهي تسأل: «هل هذه اتفاقية؟».